المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٧ — الموافق ١٥ محرم سنة ١٣٣٦

صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول (١)

هو السلطان فؤاد الاول سلطان مصر والسودان ابن عزيز مصر الجليل وصادق الوعد اسمعيل بن البطل المغوار ابرهيم بن محمد علي الكبير منقذ مصر ومخرجها من الظلمات الى النور . وهو الحاكم التاسع من السلالة المحمدية العلوية

وُلد الامير احمد فؤاد في قصر والده المغفور له الخديوي اسمعيل بالجيزة في الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٢٨٤ هجرية (٢٦ مارس ١٨٦٨ ميلادية) . ولما بلغ السابعة من عمره السعيد ادخلهُ والدهُ المدرسة المخصصة لتعليم ابنائه الامراء في رحبة عابدين . وكانت مشمولة بنظارة حضرة صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا فمكث فيها ثلاثة اعوام يتلقى مبادئ العلوم والمعارف الى ان كانت سنة ١٨٧٨ وقد اكمل السنة العاشرة من عمره فاصدر والدهُ امرهُ الكريم الى دور بك المفتش في نظارة المعارف العمومية وصاحبي السعادة حسن جلال باشا وحمد الله امين باشا المدرسين في المدارس الاميرية بالسفر في معية الامير الى مدينة جنيف من اعمال سويسرا فادخلهُ دور بك مدرسة توديكم وعاد الى مصر وبقي في معيته حسن جلال باشا مدرساً للغة العربية وحمدالله امين باشا مدرساً للتركية والفارسية فمكث في تلك المدرسة سنتين وهو عنوان المواظبة والنشاط والاجتهاد

ولما كانت سنة ١٨٧٩ سافر والدهُ الخديوي اسمعيل الى ايطاليا فاتى لمقابلته في مدينة نابولي ومنها الى مصر ثم عاد الى نابولي واقام مع والده ثلاثة اشهر في القصر الملكي الشهير المعروف باسم فاوريتا بضواحي نابولي . وبناءً على رأي جلالة الملك اومبرتو الاول ملك

(١) بقلم احد الفضلاء الياسيين المدققين

ايطاليا السابق وصديق الخديوي اسمعيل دخل الامير فؤاد سنة ٨٨٠ المدرسة الاعدادية الملكية في مدينة تورينو ولما اتمّ دروسهُ فيها نقل الى مدرسة تورينو الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثانٍ في سلاح الطوبجية فدخل مدرسة تورينو الحربية العليا وهي احدى المدارس الحربية الثلاث المشهورة في العالم واتم دروسهُ فيها سنة ٨٨٨ وانضم الى الاي الطوبجية الثالث عشر المعسكر في مدينة روما ومكث ضابطاً في الجيش العامل سنتين كاملتين

وسنة ١٨٩٠ سافر الى الاستانة لزيارة والده فعرفهُ السلطان عبد الحميد وعرف قدرهُ فعينهُ ياوراً فخرياً لجلالتهِ وانتدبهُ بصفة ملحق حربي لسفارة الدولة في مدينة فينّا فمكث في هذه الوظيفة سنتين قام فيها بوظيفتهِ خير قيام

ولما كانت سنة ١٨٩٢ استدعاهُ الجناب الخديوي السابق من فينا وعرض عليهِ ان يتولى منصب كبير ياوراتهِ فلبى داعي الوطن بكل ارتياح وعاد الى مصر فاسندت اليهِ رتبة الفريق الرفيعة . وفي ٣٥ يوليو سنة ١٨٩٢ صدر الامر العالي بتعيينهِ سر ياوراً لحضرة الفخيمة الخديوية وهذا نصهُ :

« الى سعادتلو البرنس احمد فؤاد باشا

« انهُ بناء على ما اتصفتم بهِ من صفات المعارف والكمالات وما هو مثبوت عندنا من لياقتكم وحسن درايتكم ووثوقنا بذاتكم قلدنا سعادتكم وظيفة سر ياورنا وصدر امرنا السردارية بذلك وهذا لسعادتكم للعلومية ومباشرة امور وظيفتكم هذه حسبما نعهدهُ في سعادتكم من الغيرة والحمية وفقنا المولى جميعاً لما فيهِ الخير والصلاح امين »

وظل الامير فؤاد متولياً هذا المنصب العسكري السامي ثلاثة اعوام تولية رفع فيها شأن العسكرية في البلاد وجعل الحرس المصري يضارع اعظم حرس في الممالك الاوربية من حيث النظام وحسن الهندام . وجميع الضباط الذين تشرفوا بالخدمة تحت امرهِ يذكرون تلك الاعوام الثلاثة بمنتهى الفخار والاعجاب

ثم رأى ان يقف حياتهُ لخدمة وطنهِ بنشر الوية العلم والعرفان وتخفيف الآلام عن بني الانسان فاول ما اتجهت اليهِ همتهُ العالية مشروع الجامعة المصرية فانها لم تكن الى سنة ١٩٠٨ الا مجرد امنية من الاماني الوطنية الكبرى فاخرجها الى حيز الوجود واحتفل بافتتاحها في ٢١ دسمبر سنة ١٩٠٨ . واليك بعض شذرات من الخطبة النفيسة التي القاها في حفلة الافتتاح الرسمية بالقاعة الكبرى لمجلس شورى القوانين . قال حفظهُ الله : « لقد جاء اليوم الذي تقضي فيهِ الضرورة على الشبيبة المصرية بورود مناهل التربية العلمية المحضة في نفس

القاهرة دون ان تتغرب في ربوع العلم التي نالت بفضله مكانة عالية في العمران

«وانني ابتهل اليه تعالى ان يجعل هذه الجامعة نافعة لطلاب العلم عموماً ولشبيبتنا المصرية خصوصاً . اذ اننا لم نقدم على هذا العمل الجسيم ولم نسهر الليالي بسببه الا لترقية هذه الشبيبة التي لا يكفينا امتيازها بالذكاء والنشاط والاجتهاد بل نرى انهُ يتحتم علينا ايضاً ان نحلي بفضائلي الصبر والاستمرار لانهما سر النجاح . ولا ريب عندنا في انها ستكسب هاتين الخلتين الحميدتين لتكون جديرة بتحقيق الآمال التي وضعها فيها مجلس ادارة الجامعة والامة بأسرها"

ولم يترك مشروع الجامعة المصرية في المهد صبياً بل استمر يعضد الجامعة بعالي همته ونفوذه ويعاونها بثاقب رأيه وتدبيره حتى اصبحت بفضل الله ذات مقام رفيع بين جامعات الامم الاوربية . وبفضل سعيه المشكور لدى الدول الاوربية وافق ان استحضر كبار العلماء المستشرقين من اوربا للتدريس فيها فقاموا بالقاء محاضرات نفيسة كانت تطبع وتنشر في انحاء البلاد كما انهم وفقوا الى وضع بعض المؤلفات في العلوم العالية واثبتوا لانفسهم على البلاد فضلاً يذكر فيشكر

وبفضل سعيه لدى دولة بريطانيا العظمى ودولتي فرنسا وايطاليا قبلت حكومات هذه الدول ان يتعلم بعض الطلبة من ابناء مصر مجاناً في جامعات لندن وباريس وروما . وانشأ مكتبة عظيمة للجامعة تحتوي ما ينيف على اثني عشر الف مجلد . وبسعيه اهدت اليها الحكومات والمعاهد العلمية الاجنبية مجموعات كتب نفيسة ونالت الجامعة خمسة آلاف جنيه اعانة سنوية من ديوان عموم الاوقاف والفي جنيه من الحكومة المصرية

وفي سنة ١٩٠٩ اسس بجانب الجامعة المصرية الجمعية السلطانية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع واحتفل بافتتاحها في ٨ ابريل سنة ١٩٠٩ . فقامت بمحاضرات ومباحث نفيسة كانت تنشر في مجلة تدعى مصر الحاضرة والمعاصرة L' Egypte Contemporaine وهي من انفس المجلات المصرية

واسس سنة ١٩٠٩ ايضاً جمعية لترغيب السياح في زيارة الاقطار المصرية ومشاهدة آثارها العظيمة وذلك لتوثيق عرى الالفة والوداد بين الامة المصرية وسائر الامم الاجنبية ولتوفير اسباب الارتزاق لكثير من ارباب الحرف والصناعات الوطنية . وقد فكر في اقامة معرض في القاهرة تعرض فيه جميع المصنوعات الافريقية Exposition Panafricaine فلم يتم هذا المشروع للآن

وفي ٥ يناير سنة ١٩١٠ اجتمع مجلس ادارة جمعية الاسعاف بمدينة القاهرة وانتخب سموه باجماع

الآراء رئيساً لجمعية الاسعاف فقبل الرآسة وقام بها خير قيام والى سموه يعود الفضل في انشاء صيدلية كبرى في مركز الجمعية بمصر المحروسة

وفي ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠٥ صدر النطق السلطاني الكريم بتوجيه رآسة الجمعية الجغرافية السلطانية الى سموه وهي الجمعية التي وضع اساسها والده الخديوي اسماعيل سنة ١٨٧٥ فادركها الامير بهمته واعاد اليها الحياة والنشاط بعدان كادت تندثر وتصبح اثراً بعد عين

ومن مآثره في الجمعية الجغرافية وضع اللائحة الداخلية الجديدة التي صدر بها امر عالي في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٧ وعنايته بتنسيق مكتبتها ومتحفها المحتوي على نفائس الآثار

وفي ٣ مارس سنة ١٩١٦ تعهد برآسة جمعية الهلال الاحمر المصري تخفف حفظه الله آلام الاسر والاسقام عن الوف من اسرى الحرب وكلهم السنة تدعو له بطول العمر والبقاء وقلوب تضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يجزيه عن الانسانية جزاء الخير وخير الجزاء

وفي ٨ يناير سنة ١٩٠٧ انتخب عضو شرف في المجمع العلمي المصري فكان من باكورة اعماله المشكورة انه وضع جائزة مالية لمن يؤلف احسن مؤلف في تاريخ والده الخديوي اسماعيل وما قام به مدة حكمه من جلائل الاعمال

ومن ايادية البيضاء على مدينة الاسكندرية تأسيس مصنع لتعليم البنات الفقيرات الاشغال اليدوية الدقيقة وقد احتفل في شهر سبتمبر الماضي بافتتاح معرض عرضت فيه اشغالهن اليدوية فنالت اعجاب الاسكندريين وسائر الزائرين

كما انه فكر في انشاء معهد في ثغر الاسكندرية لتربية الاسماك واكثارها في السواحل المصرية ليكون منها غذاء وافر للفقراء والاغنياء على السواء

ومن الشركات الاقتصادية المشمولة برآسته شركة سكك حديد الوجه البحري البلجيكية وقد انتخب رئيساً لها في ٦ فبراير سنة ١٩١٥ خلفاً لاخيه المغفور له السلطان حسين

وبالاختصار فانه كان يرأس ما ينيف على اثنتي عشرة جمعية بين علمية وخيرية واقتصادية يديرها كلها بهمة لا تعرف الملل ونشاط لا يعرف الكلل

وهو محب للسياحة والاستطلاع فقد خبر الامم وجاب الاقطار وزار معظم عواصم اوربا وتعرف بكثير من الملوك وعظماء الرجال وله أصدقاء عديدون بينهم نخص بالذكر منهم جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى وجلالة الملك فيكتور عمانويل الثالث وجناب رئيس الجمهورية الفرنسية وملوك اسبانيا والسويد والبلجيك وصربيا ورومانيا واليونان وغيرهم

وقد فكّر اقطاب السياسة الاوربية سنة ١٩١٢ في عرض عرش البانيا عليهِ فلم يتم هذا المشروع ولله الحمد لحسن حظ مصر فقد حفظت العناية الربانية للبلاد فؤادها وابقتهُ ذخراً لحياتها وسعادتها

ففي يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هجرية الموافق للتاسع من شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ ميلادية اختار الله لجوارهِ ورضوانهِ المغفور لهُ المبرور السلطان حسين كامل وكانت وفاتهُ رحمهُ الله وقت الظهر تماماً فكأن شمساً ارتفعت في سماء مصر ولما بلغت اوج الكمال آلت فجأة الى الزوال . فنودي باخيهِ الامير فؤاد سلطاناً على مصر والسودان وأتت الاشارة البرقية من سائر انحاء القطر تحمل آيات التهاني والتبريك بجلوسهِ السعيد . ولسان حال مصر يتمثل بقول الشموأل

اذا سيد منا خلا قام سيد قؤول لما قال الكرامُ فعولُ

و يوم الخميس ٢٤ ذي الحجة جاءت الوفود من المديريات والمحافظات تسعى الى سلطانها الجديد وتقدم الى عظمتهِ فروض الولاء والاخلاص

واليك ترجمة التبليغ الوارد الى الحضرة المعظمة السلطانية من قبل الحكومة البريطانية وهو

«يا صاحب العظمة السلطانية

« بأمر جناب وزير الخارجية لحكومة صاحب الجلالة البريطانية اتشرف بان اعرب لعظمتكم عن فائق الاسف الذي شمل حكومة جلالة الملك حينما وصل الى علمها نعي المغفور لهُ صاحب العظمة السلطان حسين كامل الذي أكبرت الامة المصرية جميعها اخلاصهُ لكل ما فيهِ خيرها اخلاصاً لا يعتريهِ فتور وقدرتهُ حق قدرهِ فكانت وفاتهُ لديها كارثة وطنية . وانني اتشرف بابلاغ عظمتكم السلطانية انعطاف حكومة جلالة الملك لما اصاب شخصكم الكريم من دواعي الحداد

« هذا وانني مكلف في الوقت نفسهِ ان احيط علم عظمتكم انهُ لما كان نظام الوراثة على عرش السلطنة المصرية لم يوضع للآن وكنتم عظمتكم بعد طبقة البنين الوارث المتعين طبعاً لوراثة العرش فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تعرض على عظمتكم تبوأ هذا العرش السامي على ان يكون لورثتكم من بعدكم حسب النظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بين حكومة صاحب الجلالة البريطانية و بين عظمتكم

« وان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تريد ان تجدد لعظمتكم بهذه المناسبة التأكيدات التي اعطتها لسلف عظمتكم عند ارتقائهِ العرش وهي مقتنعة ان في استطاعتها

ان تعتمد في السمن مع عظمتكم على تلك الصداقة التي كانت شعاراً لحكم السلطان المرحوم وعادت ثمراتها على البلاد بازدياد الرفاهة والتقدم. ذلك الامر الذي لهُ من المكانة في نفس الحكومة البريطانية ما لا يقل عن منزلته لدى عظمتكم

« واني انتهز هذه الفرصة فاقدم لعظمتكم السلطانية اجل احتراماتي

« عن القاهرة في ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ رجنالد وينجت

وفي اليوم التالي وهو ١٠ اكتوبر صدر الامر السلطاني الكريم الى حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا بتأليف الوزارة وهذا نصهُ

« عزيزي حسين رشدي باشا

« نعلم رعايانا انهُ بسبب وفاة سلفنا واخينا المحبوب المغفور لهُ السلطان حسين الاول الذي اختطفتهُ المنية قبل الاوان وملأت القلوب حزناً عليهِ قد تولينا بالاتفاق مع الدولة الحامية عرش السلطنة المصرية على ان يكون هذا العرش من بعدنا لورثتنا طبقاً للنظام الوراثي الذي سيوضع بالاتفاق بيننا وبينها

« منذ ثلاث سنوات كانت حدود بلادنا يظهر انها مهددة وكانت ثروتها الزراعية توشك ان تصاب في مصادرها. واقد لبي سلفنا رحمهُ الله نداء الواجب وتفانى في اخلاصهِ لمرافق بلادهِ فلم يتردد في تحمل اعباء السلطنة مع ما كان يحف بها من المصاعب. واعتماداً على ولاء رعاياهُ وعلى تأييد الدولة الحامية وقف نفسهُ مدة هذه السنوات الثلاث على تنفيذ المنهاج الذي اختطهُ في المرسوم الصادر منهُ الى دولتكم عند ارتقائهِ عرش السلطنة وقد صار وضع اسس تعميم التعليم وبحث موارد ثروة القطر والشروع في الوسائل التمهيدية التي من شأنها احلال مصر في مكانة الكرامة اللائقة بها في العالم الذي سيستجد على اثر انعقاد الصلح

« ونحن اليوم نشد ذلك الولاء نفسهُ من رعايانا في ظروف هي اكثر يمناً وترفيقاً فقد زالت الاخطار التي كان يظهر انها تتهدد بلادنا. وعادت ثروة القطر الى ما كانت عليهِ. وبقي علينا ان نخصص انفسنا بالاشتراك مع نواب الامة اشتراكاً يزداد على الدوام لاتمام تنفيذ ذلك المنهاج الذي اختطهُ سلفنا وان نحقق في جميع الفروع الاصلاحات التي من شأنها ضمان التقدم المادي والادبي في بلادنا

« ولما كنا على يقين من خبرتكم ومن صفاتكم السامية فاننا نوجه الى عهدتكم مهمة تأليف الوزارة ومن الله نلتمس الاعانة على ما نحن قادمون عليهِ من العمل فؤاد

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

فاجابهُ حضرة صاحب الدولة حسين رشدي باشا

« يا صاحب العظمة السلطانية

« اني لاشعر بالشرف العظيم الذي اوليتموني اياهُ بما تفضلتم عضمتكم به عليَّ من دلائل الثقة الكبرى بتكليفي تأليف الوزارة الجديدة

« وبالرغم من اعتلال صحتي لما تحملتهُ من الاجهاد منذ ثلاث سنوات ولما قاسيتهُ من الصدمة العنيفة بفقد سيد كان في آن واحد صديقاً لي فاني وفاء الى النهاية بالواجب المفروض عليَّ بصفتي مصرياً اقدم في ظل حكم عظمتكم خدمة بلادي القليل الباقي لي من القدرة على العمل . وبناء على ذلك فاني آخذ على عهدتي تأليف هيئة الوزارة الجديدة فاعرض على تصديق عظمتكم السلطانية تجديد الهيئة السابقة كما كانت

« واني بكل احترام واجلال امام عظمتكم السلطانية العبد الخاضع المطيع المخلص
حسين رشدي

« عن القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ (١٠ اكتوبر سنة ١٩١٧) »

وللحال صدر المرسوم السلطاني بتشكيل الوزارة الرشدية الثالثة على ما كانت عليهِ

وسلطاننا حفظهُ الله يجيد مع لغتهِ العربية اللغة التركية والفرنسية والايطالية و يقرأ الانكليزية و يفهمها و يعرف احوال بلادهِ وما تحتاج اليهِ اتم المعرفة و يعرف ايضاً احوال الممالك الاوربية . ولقد قام المقطم بالواجب حيث قال يوم ارتقاء عظمتهِ الى عرش مصر

« الامة اليوم ترأى من حادث عظيم انساها الحرب واهوالها وحوّل اهتمامها الى مستقبل امورها واحوالها فقد قضى الله سبحانهُ وتعالى — ولا مردّ لقضائهِ — ان يأخذ اليهِ سلطانها العزيز بعد ما تعلقت قلوبها بعرشهِ وارتاحت الى حكمهِ ورتعت في ظلهِ آمنة مطمئنة كالولد في حضن والدهِ ووثقت بتحقيق امانيها اعتماداً على ما رأت من حكمتهِ وحسن سياستهِ وصدق غيرتهِ ومحبتهِ . وشاء الله — والخير في مشيئتهِ — ان يلقي مقاليد امورها الى سلطانها الجديد ليتم في عهدهِ ما كانت ترجو ان يتم في عهد سلفهِ . فهي طبعاً تتساءل اليوم كيف يتم ذلك وتتشوف الى معرفة الدلائل والقرائن والاسباب التي تحقق آمالها في عظمتهِ وتنيلها معظم الخير من نتائج حكمهِ . ولهذا رأينا ان نورد هنا بعض ما عنَّ لنا من تلك الدلائل والقرائن التي عرفنا بعضها بالخُبر و بعضها بالخَبَر

« فما يوجب للامة الثقة بنيل الخير في عهد سلطانها الجديد ان الذين عرفوا عظمتهُ وعاشروهُ وتقدوا صفاتهِ وخبروهُ يعلمون انهُ اذا قيس بغيرهِ من الملوك والسلاطين كان من خيرتهم ادراكاً لواجباتهِ العمومية وشعوراً بما تقتضيهِ الفروض الوطنية وغيرة على انجاح الاعمال المتعلقة بهِ والقيام بالحقوق المطلوبة منهُ . ويؤيد علمهم هذا ما رأتهُ الامة في عظمتهِ من الهمة والعناية والجد والسعي في انجاح الجمعيات والمعاهد المتعددة التي تولى رآستها

« ومما يؤيد ايضاً تلك الثقة ويقويها ان عظمتهُ متصف بعمد النظر في الامور وسعة العقل والصدر وقد شهد بنفسهِ حوادث التاريخ الحديث لهذا القطر منذ عهد المغفور لهُ والده الى هذا العهد فوعى صدرهُ ما مر بهِ من العبر وعلم ان البلاد لا تأمن الدهر الاَّ اذا استيقظ حاكمها وسهر وقرن سياستهُ بالاحتراس والحذر واتخذ اعوانهُ ومشيريهِ من العقلاء الذين يخلصون له الولاء ويغارون على مصلحة الوطن . فعظمة سلطاننا الجديد — اعزه الله — درس ذلك كله في احسن المدارس مدارس الاختبار فاستعد للجلوس على عرش مصر وقضاء الواجبات العظيمة التي يقتضيها هذا المنصب الرفيع »

الى ان قال « فيحق للمفكر في مستقبل القطر ان يثق بحكمة صاحب العظمة سلطان مصر الجديد وان يؤمل ادراك الخير والرفاهة في حكمهِ السعيد »

اما عن مناقب عظمتهِ ومكارم اخلاقهِ فحدث ولا حرج فاول ما امتاز بهِ حبهُ الجم لوطنهِ وغيرتهُ على مصلحة مصر والمصريين وحبهُ للعلم والعلماء . ومن اعظم ما تجههُ اليهِ همتهُ ترقية الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد وتمهيد كل موارد الثروة في مصر . ومن صفاتهِ الكريمة الصدق في القول والعمل فاحب الناس اليهِ ارباب الذمة والاخلاص وابعد الناس عنهُ اهل الكذب والنفاق

وقد تفضل حفظهُ الله فقال مراراً واعاد تكراراً انهُ مستعد لوضع يدهِ الكريمة في يد كل عامل لخير وطنهِ غيور على مصلحة بلادهِ وانهُ يعتمد على معونة الجميع لتسير بالبلاد في مراقي النجاح والفلاح . حقق الله ما يقصدهُ وما ينويهِ

ومن حسن حظ مصر ان عظمة السلطان فؤاد جلس على عرشها في نحو الخمسين من عمرهِ وهو سن الكمال في الملوك والسلاطين فقد جمع بين همة الشباب وحكمة الشيوخ . متعهُ الله بالصحة والعافية والسعادة والرفاهية وجعل عهدهُ بملك مصر عهد سعادة ورخاء وايام هناء ورفاه انهُ سميع مجيب الدعاء

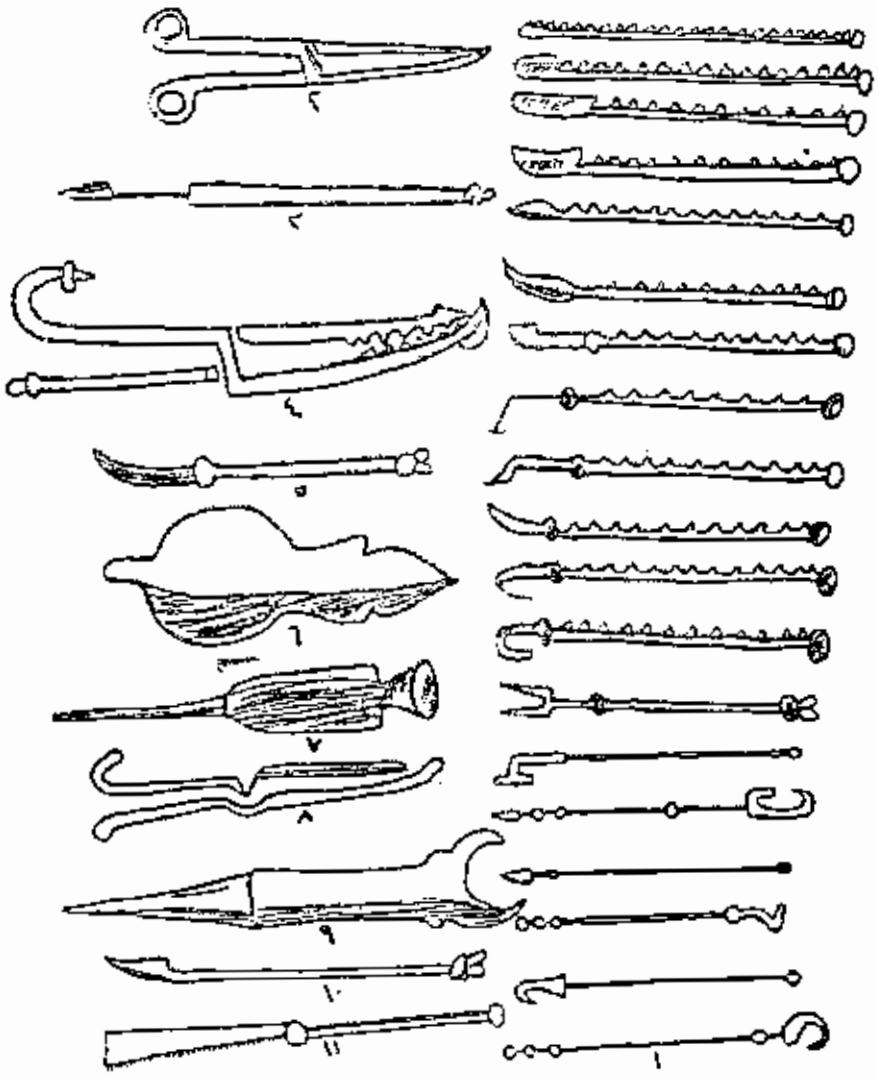

(١) صور آلات مختلفة لتجريد الاسنان وتنظيفها (٢) مقص لقص السبل اي العروق الحمر من العين (٣) مفدح لفدح العين في علبة لتكتركتا (٤) كلابة لنزع اصل الضرس المكسور (٥) محلة لقلع اصل الضرس اذا لم يقلع بالكلابة (٦) مسعوط لتضريب الادوية في الانف (٧) جفت لاخراج ما يقع في الاذن (٨) كلابة لقلع اصول الاضراس (٩) جفت لنزع العظام المكسورة من الفك (١٠) آلة لقطع الضرس الزائد الثابت خلف غيره (١١) مبرد لنزع الضرس الزائد اذا امكن برده

مقتطف نوفمبر ١٩٠٧

امام الصفحة ٤٣٥

فضل العرب على الجراحة[1]

قالت دائرة المعارف البريطانية المطبوعة حديثاً جزء ٢٦ ص ١٢٧ « قلما كان للعرب مزية في علم الطب اعظم من انهم حفظوا ما استلموهُ فيهِ من الاقدمين . وما اضافوهُ الى الجراحة بنوع خاص قليل وذلك اولاً لان دينهم يستكره تشريح الموتى وثانياً لان من طبعهم تحمل الآلام التي تصيبهم بالصبر والانفة من اتخاذ انوسائل لتخفيفها واطباؤهم المشهورون مثل ابن سينا وابن رشد ليس لهم شأن كبير في الجراحة واشهر من الف منهم في الجراحة ابو القاسم المتوفى سنة ١٢٢ للميلاد وهو مشهور بنوع خاص بكثرة استعمالهِ الكي والكاويات . وقد اعرب عن استقلال كثير بامتناعهِ عن الالتجاء الى الجراحة في معالجة الغرائر وفي قلة التجائهِ الى شق القصبة ولاسيما في تجنبهِ العمليات الجراحية في السرطان وفي تقريعهِ صديد الخراريج الكبيرة تدريجاً »

ثم قالت — وانشئت اسبتالية اوتل ديو بليون سنة ٦٦٠ م وفي باريس بعد قرن ، ومدرسة مونبليه انشئت ١٠٢٥ وكان التعليم على نسق عربي و يهودي . ومجلس تورز ١١٦٣ قرر عدم اشتغال الكهنة بالطب . ونقول ان كل المؤلفات التي عي الآ اعادة طبع وترجمة الكتب العربية

ولقد اخذنا نبحث عن اسم ابي القاسم بين المؤلفين ونتساءل عن كتبهِ فلم نجد حافيا لتداولهِ الايدي ثم بحثنا في دار الكتب السلطانية والمكتبات الخصوصية فلم نعثر على شيء منها

وفيما كنا نقلب في آثار جدنا المرحوم الدكتور عبد الرحمن الفراوي بك وقع في يدنا كتاب بعيد العهد بعيد الطبع موسوم بعنوان (التصريف) لمؤلفهِ ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي وهو الجزء الحادي عشر من ثلاثين جزءاً من الكتاب كلهِ وهذا الجزء وحدهُ هو ما سنجعلهُ موضوع بحثنا اليوم

ولقد بحثنا كذلك كثيراً عن تاريخ هذا الكتاب وتاريخ مؤلفهِ بالتفصيل فلم نعثر على شيء منهما تقريباً في الكتب العربية وعثرنا على نتف قليلة في الكتب الانكليزية والفرنساوية خلا كتاب مسيو لكلارك (تاريخ الطب عند العرب) فانهُ والحق يقال وفى البحث حقهُ مستنداً فيما يقول على مرآى العين او اوثق المصادر

(١) بحث في تاريخ الجراحة عند العرب وعمل الزهراوي القيت في الجامعة المصرية في ٣ مارس سنة ١٩١٧

ولم يخف على الجراحين وجهة ان ابا القاسم يعد في طليعتهم بل هو الوحيد في فنه وكتابه هو الفريد في بابه وسنرى انهُ حفظ علم الجراحة في القرون الوسطى وانهُ كان اساساً متيناً بنيت عليه صروح الجراحة الحديثة التي كانت اخذت في التقدم وهي لا شك آخذة رجع معظم الفضل فيه اليه . ويحسن بنا قبل الدخول في الموضوع ان نسوق هنا نبذة عن الزهراوي وكتابه

ولد ابو القاسم في الزهراء باسبانيا سنة ٩٣٦ م او ٣١٠ م . ولقد كان هو المثل الاعلى في الجراحة عند العرب في القرون الوسطى وكان هو والوزير عيسى بن اسحاق الطبيبين النابغين في الدهر والمعارف وكان بيتهما دار ندوة يحضرها ذوو المكانة من الاخصائيين في الرياضيات والطبيعيات والفلك وغيرها وكان كلاهما الطبيب الخاص للامير عبدالرحمن وكان بيتهم مفتح الابواب للسائلين وطلاب العلم وطالبي الشفاء بالليل والنهار . وكان ابو القاسم وحدهُ مشهوراً بطبهِ ونبوغهِ في الجراحة في الشرق والغرب . غير ان هذه الشهرة كانت من دواعي الحطة عند العرب لانهم كانوا يمقتون الجراحة والمشتغلين بها كما حدثنا هو بذلك في نفس الجزء الواقع بين ايدينا . قال « ان الطبيب الذي لا يوجد من اجله صانع ماهر في العمل اليدوي انهُ ينبغي لصاحبهِ ان يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعهُ جالينوس الخ . ولذلك قال ابقراط ان الاطباء بالاسم كثير والحقيقيون قليل جداً »

اما مؤلف ابي القاسم فيقع كما قدمنا في ٣٠ جزءاً ترجمت جميعها الى اللاتينية غير انهُ لا يعرف بالضبط تاريخ السنة ولا اسم المترجم الذي نقلهُ ولكن المسيو جيراردتي جرتون ترجم في القرن الثاني عشر الجزء الاخير المتعلق بالجراحة ولا يدلنا هذا على انهُ ترجم الكتاب باجزائهِ جميعاً . قال لكلارك وفي مكتبة باريس (٤٣٩٠) رأينا الجزء الثالث وترجمة الجزء الاول والثاني تحت عنوان باللاتيني هو ليبي تيوريكا تك ن بركتيكا) اي النظريات المجردة لا العمليات للزهراوي والجزء ٢٨ تحت عنوان (ليبرسرفيتورس) وقد طبعت هذه الاجزاء . وترجم الجزء الخاص بالعقاقير والاقرباذين ، تيربوتيك ! . ولقد رأينا دائماً مؤلفي القرون الوسطى يحيلون القارئ على الزهراوية او كتاب الملوكات الاكبر (انتيدوتيو) وهما لا خلاف فيهِ ان كتاب التصريف ظهر باكمله تحت اسم الزهراوية وقسم الى ٣٠ جزءاً وموجود برمتهِ ١٦ ٧ من القسم اللاتيني . فالجزء ١٦ من التصريف هو الخاص بالاضمدة المختلفة في الامراض المختلفة . وفي كتاب المفردات لابن البيطار متفرقات جمة

مذكور بجانبها انها مستخرجة من كتاب الزهراوية . وابلغ هذه الاقتباسات كيفية صنع الخبز المركب من احسن انواع القمح والذي يخمر و يكرن خفيفاً خالياً من الشوائب

وفي القرن الرابع عشر اخذ دي كولريس الذي يعد عظيماً في الجراحة عن كتاب الزهراوي ما يعد اساساً لما كتبهُ هو على انهُ استشهد في كثير من المواضع بكتاب المركبات وقد ذكر بالاسم الجزءين ٢١ و٢٣ وذلك يدل على ان مجموعة الكتاب كانت تامة في عهدهِ . وفي القرن ١٥ رأينا مقتبسات من الزهراوي عند طبيب طليطلي (فرّاري) او (مشيودي جراديليس) وكان في اكثر مواضعهِ يستشهد بكتاب الزهراوي الخاص بالاطعمة او الاغذية . وفي القرن عينه نشر الطبيب الطليطلي (سنشس دي اردوزيريس ده بيزارو) كتاباً خاصاً بالسموم . وفي كل صفحة منهُ اسم ابي القاسم و يدلنا ذلك على ان المؤلف كان يملك ترجمة التصريف باكملهِ وفي هذا المؤلف معلومات مأخوذة عن الزهراوي لا تقل عن نصفهِ . بل الذي يؤكد ان (سنشس) هذا كان يملك التصريف كاملاً ان كثيراً من اقوالهِ مأخوذة من الاجزاء ٢ و٣ و٤ و٥ و٧ و٩ و١٣ و١٥ و١٧ و١٨ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٨ و٣٠ . اما الجزء الثاني في العمليات (براتيك) و٣ و١٥ فللادوية المركبة وهذا هو السبب الذي اطلق على الكتاب اسم (جراند انتيدوتير) لان معظمهِ في مركبات الادوية

وفي سنة ١٦٠٩ طبعت مكتبة شتك (لايبلاشتك) هذا الكتاب ونعلم انهُ ظهرت ترجمتان لكتاب التصريف في القرن السابع عشر ولكن لا نعلم ان كانتا تامتين او لا

على ان المؤلفين العرب وان ذكروا لنا كتاب التصريف لم يعطوا معلومات وافية عن اجزائهِ ولم يذكروا الاَّ الجزء الخاص بالجراحة ولكن يستدل من عدة تراجم لاتينية ان الجزء العاشر او الحادي عشر هو الخاص بالجراحة وقدم لنا المسيو برر نسخة خطية صغيرة وفيها ان الجراحة في الجزء العاشر . اما نحن فنقول ان الجزء الذي لدينا هو الحادي عشر وهو الخاص بالجراحة ولا ندري ان كان هناك جزء آخر خاص بها ام لا وهذا هو امام من يريد الاطلاع عليهِ . قال لكلارك : وقد بحثنا كثيراً في مكتبة باريس في القسم العربي فلم نجد فيها اكثر من نصف الكتاب . اما ابن البيطار فقد اقتبس من الزهراوي اكثر من غيرهِ على انهُ لم يعينهُ . و بيّن الاجزاء الموجودة كما يأتي فنر : ٩٥ و١٦٥ و١٦٧ و١٦٨ تحتوي على الجزئين المختصين النظريات والعمليات . و١٦٣ تحتوي على الاجزاء من ٨ ،

الى ٣٠ ، ونمرة ١٦٤ ، تحتوي على الاجزاء من ١ الى ١٦ ، ونمرة ١٦٣ في كشف باسماء الاجزاء ومحتويات كل واحد . وعليه فمكتبة باريس فيها الاجزاء التالية بالعبري : و ٢ ومن ١٨ الى ٣ والمكتبة البلدية في اسعدها حظاً لانها تحتوي على الكتاب كاملاً تحت نمرة ٤ ، ٤ و ٤ ، وهاك بيان محتويات الاجزاء

الجزء ٢٦ يحتوي على نظام الطعام في حالتي الصحة والمرض وعنهُ اخذ ابن البيطار ومشيو ده جراد پيرس . والجزء ٢٧ يحتوي على الادوية البسيطة والاغذية مرتبة على حروف المعجم وترجم (شن سوب) هذا الجزء بالعبرية في مرسيليا في القرن ١٣ ، والجزء ٢٩ يحتوي على تحويل الموازين وعلاقتها بالمقاييس . وجميع الاجزاء المتقدمة هي خطية اما المطبوع فاليك بيانهُ :

جزء النظريات والعمليات وهو الاول والثاني اما الاول فيحتوي على النظريات او عموميات في الطب وفيهِ ١٦ فصلاً والجزء الثاني يحتوي على العمليات في الامراض من الرأس الى القدم الاَّ الفصول الاخيرة فتحتوي على فصل (٢٦) تدبير الاطفال وفصل (٢٧) تدبير المسنين وفصل (٢٨) في الروماتيزم وفصل (٢٩) في الدمامل والحراريج وفصل (٣٠) في السموم وفصل (٣١) في الامراض الظاهرة (الجلدية) وفصل (٣٢) في الحميات

وجزء ٢٨ تحضير الادوية البسيطة ترجمهُ الى اللاتينية ابراهام اليهودي وسيمون دوجين . وقد رد احد المترجمين او اليهود النسخة العبرية الى اللغة العامية واحد الادباء حولهُ الى اللاتينية . واسم هذا الجزء باللاتينية (سرفيتور پس) وهذا العنوان ليس لهذا الجزء في الحقيقة بل هو الاجزاء السابقة الخاصة بالادوية المركبة وهو ما سماهُ اهل القرون الوسطى (جراند انتيدوتير) . وكتاب سرفيتور پس طبع مراراً وهذا هو عنوان الطبعة المحفوظة بباريس بنمرة ١٤٧١

وقد قسم المؤلف الادوية البسيطة الى ثلاثة انواع معدنية ونباتية وحيوانية . وفي هذا الكتاب معلومات رائعة عن تاريخ المادة الطبية وتاريخ الكيمياء والفنون الصناعية . ولابن العوام كتاب في الزراعة قال فيهِ انهُ ليس احسن من طريقة الزهراوي في استخراج ماء الورد ونقل عنهُ ابن البيطار في كتابهِ المفردات كيفية استخراج الزيت

ووصف الزهراوي بدقة كيف يصنع قالب من الآجر او الجص او العاج ينقش فيهِ اسم الاقراص ونسخة باريس الخطية (٢٣٦) اظهرت لنا شكل هذه القوالب غير اننا لم نجدها في النسخ المطبوعة . كذلك وجدنا في الخطية المذكورة رسم المرشحات ولم نجدها

في المطبوع . واذن يكون الزهراوي اول من احدث رسم الاشكال في مؤلفه الجراحي وقد اخذ يزهر من بعده الى اليوم ونضيف الى ما تقدم ان ابا القاسم لم يقتصر على تحضير الادوية بل انهُ اشتغل فوق ذلك في كيفية حفظها وعين معدن الاوعية التي توافق كل واحد منها وصفوة القول ان كتاب سرفيتوريس هو اهم عمل في مجموعة ابي القاسم ويستحق ان يكون هو المرجع على الدوام . قال تكلارك ونظن ان هناك نسخة عربية في متحف المجلترا فقد وجدنا بهِ تحت نمرة ٩٨ عنوان كتاب منسوب الى الزهراوي وهو خاص بتحضير العقاقير وابتدأ فيهِ على طريقة سرفيتوريس حيث قال : اعلم ان الادوية ثلاثة انواع معدنية او نباتية او حيوانية . ولقد قرأنا هذا النص بعينهِ في نسخة عربية عبرية في باريس تحت نمرة ١٢١٣ ورأيناها مكتوبة بالعربية وبالحروف العبرية غير ان فيها ذكر الادوية البسيطة وما هي هنا الا للوصول بها الى المركبة فالعقاقير واسم المؤلف غير مذكور ولكن الكتاب مستمد من التصريف

اما جزء ٢٠ الخاص بالجراحة فلا جرم انهُ الذي نبه بهِ ذكر ابي القاسم وهو الذي لهُ المنزلة العظمى في تاريخ الطب . قلنا انهُ هو الجزء الخاص بالجراحة وهو الاخير من التصريف غير ان في ذلك خلافاً فهناك نسختان عربيتان في مكتبة بدلين احداهما تقول انهُ العاشر والاخرى انهُ الحادي عشر والنسخة الخطية للسير برون وهي كراسة مختصرة تقول انهُ العاشر وكتاب نور العيون الموجود بنمرة ١٠٤٣ بالخلق العربي بمكتبة باريس تارة تقول انهُ الثلاثون وتارة انهُ العاشر . والنسخة العربية بباريس تعينهُ انهُ الثلاثون والترجمة اللاتينية الخطية والمطبوعة تقول كذلك . وفي وسط القرن الثاني عشر ترجم جرارد ده كريمون بطليطلة جراحة ابي القاسم الى اللاتينية وبعد قرن ترجمهُ الى العبرية شم توب وترجم كذلك في عدة جهات وتوجد منهُ نسخة في مكتبة مونبلييه . والفضل لهذه التراجم في انتشار الجراحة في القرون الوسطى . وبعض كتّاب ذلك العهد اعترفوا بما اخذوهُ عن هذا الجراح العربي العظيم والبعض اقتبسوا منهُ وادمجوهُ مشتركاً في اعمالهم

ونقل هنا نبذة مفيدة عن كتاب تاريخ الآداب بفرنسا قال : ان في تاريخ الجراحة بفرنسا في النصف الثاني للقرن الثالث عشر امراً يسترعي الانظار وذلك ان كثيراً من الاطباء الطليان غادروا وطنهم على اثر الفتن التي اثارها الجلفيون والجبليون وجاؤا الى فرنسا يحتمون بارضها وجلبوا معهم مؤلفات ابي القاسم وتعاليمهُ . وابو القاسم هذا هو الطبيب الاسباني المشهور الذي يعد الزعيم الاكبر للعلوم الطبية

ابتدأ ذلك عند وصول حكيم صليبي الحلبي من روجوده يوم ١٠ من مدرسة سلرن ١٠ عقبة كثيرون منهم لاقتراحه الذي رضي باريس سنة ١٣٠٣ وقد قال : انه كان جراحو فرنسا كلهم على وجه التقريب جهلاء لا يكادون يعلمون الجراحة الى حد ذلك لا تجد جراحاً يطبق فصول الصناعة ثم قال ولا بمشورة المدعش ان رجدنا مدارس الفرنساوية تضع ابا القاسم في صف واحد مع جالينوس وبقراط

وبنقسم الجزء الذي نحن بصدده الى اقسام ثلاثة الاول (٢) العمليات واصنافها (٣) الكسر والخلع . والذي جعل لهذا الكتاب اهمية عظيمة وارتفاع صيتهُ هو بلا شك انهُ احدث رسوم الآلات التي لم تكن مستعملة الى وقتهِ بجانب الكلام عليها وهي لا تقل عن ٥٠ اشكالاً الى ٦٠ شكل . فان تكلارك الذي نقل عنهُ هذا القول ، تقول هنا ان اساس جراحة أبي القاسم هو الجزء السادس من كتاب برن دوجين ويأخذك العجب من ان هذا الاسم لم يكن مذكوراً في الزهراوية ، لا هذا الاصل معيناً فيهِ ولكن يبطل عجبك اذا علمت ان تلك كانت عادة العرب في طريقة تأليفهم فانهم كانوا يدمجون ما يأخذونهُ عن الغير من دون تعيين في عملهم الخاص الاَّ اذا كان المأخود عنهُ رجلاً ذا شهرة عظيمة مثل بقراط او جالينوس وهم في عملهم الادبي مثلهم في العلمي ولقد جرى على هذه الطريقة كل من روجر ده برم وجليوم ده سالسيست عندما اخذوا عن ابي القاسم الزهراوي

وقد كان الزهراوي يذكر بجوار كل موضوع ما دلت عليهِ تجاربهُ العلمية العملية ودليلنا على ذلك الفصل المعقود خاصة لاستخراج السهم . وهو يوصي في رأس كتابهِ بضرورة معرفة التشريح لانهُ بمثابة قاعدة للجراحة . وان لا يندفع الطبيب في العمليات الجراحية الصعبة دفعة واحدة وقال انهُ جهل التشريح جرَّ الى نتائج وخيمة . ومما يقال في هذا الكتاب فان القول فيهِ ناقص فلقد قرر رأي جميع المؤرخين على الاعتراف باهميتهِ وعلى انهُ كان عمدة نجاح هذا الفن

وهاك ما قاله المؤرخون عنهُ : فقد ذكرهُ جوي ده شولياك اكثر من مائتي مرة . وقال فبريس دكاپيدانتي انهُ هو المثل الاعلى للعلم . وهو زعم انهُ اول من ربط الشرايين قبل امبرواز باريه . وبوستار انهُ اول من استعمل السنارة في استخراج البرليوس . وفرند انهُ هو محيي الجراحة ثم ذكر له ترجمة مطولة لا تخرج عن قدستا وكنهُ زاد ان ابا القاسم نبه قرائهُ في كل موضع الى اخطار العمليات منبهاً الاحتياطات الواجب اتخاذها وقد ذكر

وصف ذلك في كل عملية وفي كل حالة . وسبرنجن قال انهُ هو اول من وصف اجراء عملية الحصاة عند النساء وكانت تعملها رئيسة الممرضات تحت اشراف احد الاطباء

اما وقد انتهينا من تلك الكلمة المجملة فسنعرض على الانظار شيئاً من الجزء الواقع بين ايدينا ونبين فضل ابي القاسم على الجراحة ذلك الفضل التي يشاطرهُ فيهِ الناطقون بالضاد قديماً وحديثاً فنقول :

ان الجزء الذي بين ايدينا هو الحادي عشر من كتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) لصاحبهِ (ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي) وهذا الجزء مطبوع سنة ١٧٦٧ م بواسطة كازيري بخائيل قصيري

والذي يقرأ هذا الجزء في العمليات الجراحية يرى كيف تدرج العلم الصحيح من مهدهِ منذ زمن المؤلف الى الوقت الحاضر وكيف كان التدرج في البحث والاستقصاء . فقد كان في زمنهم قاصراً على الحواس الخمس من حس ولمس ولم تكن المباحث العلمية معززة بتجارب الاكتشاف والاختراع نعم ان المؤلفين في عصرهم كانوا يعلمون ان الاوعية تنقسم الى قسمين الشريان والوريد ولكن التمييز بينهما كان من الصعوبة بمكان . فان جل ما كان يميز الشريان عندهم انهُ العرق النابض والوريد انهُ العرق الساكن

والعمليات هنا تنقسم الى ثلاثة اقسام وهي الكي واستعمال المشرط من شق وفصد واستعمال التجبير وما يختص بالعظام . وقبل ان نتكلم عن هذه الاقسام نذكر كلمة عامة عن الآلات الجراحية على وجه العموم . فقد كانت تصنع هذه الآلات اما من الحديد او الذهب او النحاس ويختلف استعمال كل نوع باختلاف ظروفهِ ففي آلات الكي مثلاً كان ابو القاسم يفضل استعمال الحديد على الذهب بعلة ان الكي بالحديد أحسن وافضل من الذهب لانك اذا احميت مكواة الذهب في النار لم تعلم درجة حماوتها بسبب لونها ثم انها تبرد سريعاً واذا اشتدت الحرارة سهرت وذابت فلذلك صار الكي بالحديد عندنا اسرع واقرب للصواب

نريد الآن ان نطبق احدث الطرق العلمية على كلام ابي القاسم الذي كان يعتمد على حواسهِ الخمس في البحث واستقصاء افضلية الحديد على الذهب فنجد انهُ على حق في قولهِ ان لون الذهب يمنع معرفة درجة الحرارة التي تريدها هل هي الحمراء او البيضاء مما لا يتيسر معرفتهُ في الذهب في غير الظلام والمعروف في الطب ايضاً ان الكي يكون على درجة

الحرارة الحمراء فانها تكوي المكان كيًّا موضعيًّا فتزين الاثر الذي تريد ازالته وأما البيضاء فان المعادن تكون فيها كالمشرط تقطع ولا تكوي

أما النقطة الثانية وهي انها تبرد سريعاً فمن المعلوم ان درجة حرارة الذهب النوعية هي ٠٫٣٢٤ والحديد ٠٫١١٣٨ ولذلك نجد ان هؤلاء الناس الذين كانوا يعتمدون على حاسة النظر فقط لم يخطىء نظرهم في ٠٫٨١٤ من درجة الحرارة

أما النقطة الثالثة وهي الصهر فقد كفلت الطبيعة ايضاً صدقها اذ ان درجة صهر الحديد ٠٫١٠٠ والذهب ٠٫٦٤ والانسجم من قوة النظر الحادة التي مكنت صاحبها من الشعور بفرق ٣٦ درجة حرارة بعد الالف

أشكال الآلات — قلنا ان العمليات تنقسم الى ثلاثة أقسام الكي والبط (البتر) والشق غير عمليات أخرى متنوعة ومن هذا التقسيم يظهر ان أشكال الآلات تختلف اختلافاً بيناً جداً

فآلات الكي تختلف — (١) باختلاف المكان المراد كيهُ (٢) باختلاف العنصر المراد الكي به (٣) باختلاف اتساع الكي

فاذا كانت الامكنة ظاهرة اختلفت اشكال الآلات باختلاف شكل الجزء من الجسم المراد كيهُ

وهذه هي أشكال الآلات :

(١) المكواة الزيتونية لكي الرأس والمواضع المسطحة (٢) المكواة القرنية في كي الرأس اذا أريد التأثير في العظام (٣) المكواة المشمارية في كي الرأس لوجع الصداع (٤) النقطة في المواضع الضيقة (٥) المشمارية في كي الحاجبين والانف لتنانه (٦) الهلالية في كي جفن العين عند استرخائهِ (٧) القمع في كي النواصير (٨) السكينية للشفة (٩) مكواة الاسنان للاسنان (١٠) ذات ثلاث الشعب للرئتين (١١) ذات السفائد لعلج العضد (١٢) مكواة المعدة (١٣) الميل لتدخل الى الكبد (١٤) المشمارية الظهر (١٥) مكواة للفتق (١٦) لآلات لكي سائر الاعضاء

المشارط — (١) المبضع لشق الخراريج (٢) مبضع السلخ لتشريح الجلد عما تحتهُ (٣) مبضع آخر للسلخ غير حاد

الجفت — (١) الجفت اللطيف للاشياء التي في الاذن . (٢) جفت آخر . (٣) تحقن فضة لحقن الاذن . (٤) مبضع لفتح الاذن . (٥) الصنانير (٦) لعملية شعرة الملاحين . (٧) المبضع الاملس للعيون . (٨) الاملس ضعف الحاد للعيون . (٩) آلة الجرد (الكحت) . (١٠) البريد . (١١) المقدح ويستعمل لماء العين (١٢) الكلاليب . (١٣) الغرزتين من فضة (١٤) قاطع الغرزة (اسنانها حادة كالسكين) . (١٥) جفت الحلق . (١٦) مسار (انواع) . (١٧) صنانير (انواع) . (١٨) مشارط لسلخ الاورام

الكي — اما الكي فقد كانوا يستعملونهُ في اكثر الامراض في الاورام على كافة انواعها وفي كل عضو من اعضاء الانسان ولكي ادوات كثيرة منها النار ويعتبرها افضل لانها جوهر مفرد ولا يتعدّى فعلهُ العضو المكوي ولا يضر عضواً آخر متصلاً بهِ على عكس الدواء المحرق فانهُ يتعدى فعلهُ الى ما بعد الاعضاء وربما احدث في العضو مرضاً تتعسر مداواتهُ وربما قتل . وهذا يطابق تماماً التفسير الحديث الذي يقول ان هذه الادوية المحرقة قد تتسمم الدم الى جميع اجزاء الجسم وقد تكون بداية تعفن . وقد كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً ان الكي هو آخر ما يلجأ اليهِ المطببون اذا اعيتهم الحيل في العلاج وعلى هذا قالوا ان الكي آخر الطب وشاعت هذه الجملة على الالسنة وتردد ها المؤلف في عدة مواضع ومنها المثل العربي المشهور وهو آخر الدواء الكي . وفي الحديث الشريف عن البخاري انهُ قال : الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي . ولا اريد الآن ان افصّل مواضع الكي وطرق عمله ولكن سنذكر اهم هذه الاشياء

ان المعروف في احدث الكتب الطبية ان الحرق لهُ ست درجات ولكن عندهم كانت لهُ ثلاث درجات

اولا : ان تحرق الجلد فقط

ثانياً : ان تحرق الجلد وشيئاً من اللحم (الشحم والانسجة التي تحتهُ

ثالثاً : ان تحرق كل شيء حتى العظم

واما الكي بالدواء المحرق فهو ان تأخذ قص ثوم وتدقهُ وتضعهُ في جرح تشقهُ تحت الجلد وتتركهُ خمس عشرة ساعة او بضماد الحردل . ويستعمل الكي في وجع الاذن وفي اللثوة او شلل عصب الوجه وفي السكتة المزمنة والفلج والصرع والملاخوليا والماء النازل

في العين والدمع المزمن واسترخاء جفن العين وفي الشعرة . وهذه الطريقة هي ان تكوى كية كورقة الآس وفي كي التاصور الذي في مآقي العين وهذه طريقة حديثة وفي امراض الرئة والسعال وضيق التنفس وفي امراض المعدة والامعاء

وقد كانوا يستعملون فيها كل ضروب الصبر والجلد مما لا يتصور ان يحتمله انسان فان خراج الكبد كانت طريقة العلاج المستعملة فيه ان تحرق بمكواة جميع الطبقات المكونة لجدار البطن حتى تصل الى الكبد ثم تحرق نفس الكبد حتى يخرج الصديد وقد يضطر الجراح لتغيير عدة مكاو اذا بردت وبالطبع مثل هذه العملية تكون خالية من اي تمخن وتستعمل نفس هذه الطريقة في استخراج ماء الاستسقاء . ومن العجيب ان لا يلهموا كي البواسير نفسها حتى تقطع بل يكوون في الظهر وفوق المعدة وكي عرق النساء سواء بالنار او بطريقة جالينوس بالشيطرج الاخضر وكذلك كان ديسقوريدوس يكوي بحر الماعز ويستعمل الكي ايضاً في الحدبة . واكبر انواع الكي شناعة هو كي الفتوق اذ يستلقي المريض على ظهره ويجلس عن صدره وبطنه واطرافه مساعدو الجراح ثم هو يمسك المكواة المحماة على شكل نصف دائرة ويرفع الترب الى البطن ويمسك الامعاء ان تنزل ويحرق مكان الفتق حتى العظم وربما يضطر الجراح الى تغيير عدة مكاو لانها تبرد ويجب ان يبلغ العظم والا كانت العملية غير ناجحة . ومكواة الصبيان اصغر والعلاج بعد العملية ان تدهن بالسمن وعقاقير اخرى حتى يبرأ الجرح ويبقى المريض مستلقيا على ظهره من ٤٠ الى ٨٠ يوماً ويستعمل الكي ايضاً في السرطان اذا كان مبتدئاً ويراد ايقافهُ ويخشى المؤلف كثيراً من تقرحه واحسن مواضع الكي كانوا يستعملونهُ في الاكلة اي الغنغرينة وهو فساد يسعى في عضو ويخشى على الباقي بل على الحياة منهُ وفي الزوائد التي تحصل في القدم . واجمل استعمال الكي هو في ايقاف النزيف الحادث من قطع شريان وطريقتهُ ان تضع اصبعك السبابة على الشريان المقطوع وتحصر الدم تحت اصبعك ثم تكوى المكان بعد رفع اصبعك عنهُ ويمكن تغيير المكواة اذا بردت من سيل النزيف

طرق ايقاف النزيف قديماً

(١) بالكي . (٢) بقطع نفس الشريان فتتقلص اطرافهُ . (٣) بان تربطهُ بالخيوط ربطاً وثيقاً . (٤) بوضع الروابد . (٥) بالضغط بالاصبع . (٦) بالماء البارد وكل هذه مستعملة الى الآن الا الثاني منها

اما الطرق المستعملة الآن فهي (كما ذكر في كتاب بيز)

(١) الضغط بالاصبع . (٢) ربط العضو من جهة القلب . (٣) ربط الشريان المقطوع . (٤) جفت الشريان وهو أهم شيء في الجراحة . (٥) لي الشريان . (٦) والشد بالرفايد فيما انفرد به ابو القاسم من العمليات الجراحية :

جراحة الشرايين — كانوا يستعملون هذه العملية في قطع الشريان الذي في الاصداغ لمداواة الصداع وسننقل وصف ابي القاسم لها لانهُ اول من ربط الشريان كما تقدم : — اسلخ الجلد برفق حتى تصل الى الشريان ثم تلقي فيهِ صنارة وتجذبهُ الى فوق حتى تخلصهُ من الصفاقات التي تحتهُ من كل جانب فان كان الشريان رقيقاً فتلويهِ بطرف الصنارة ثم تقطع منهُ جزءاً بقدر ما يتباعد طرفاهُ ولا يحدث نزيفاً فانهُ اذا بتر وانقطع لم ينزف الدم . . . . ثم استفرغ من الدم من ٣ الى ٦ اواق وان كان الشريان عظيماً فينبغي ان تربطهُ في مكانين بخيط مثنى قوي وليكن الخيط من ابريسم او من اوتار العود لئلا يسرع اليها العفن قبل التئام الجرح فيحدث النزف ثم اقطع ما بين الرباطين وان شئت فاكوه ثم احش الموضع بالقطن البالي وضع الرفايد المحكمة

واول من استعمل هذه الطريقة هو ابو القاسم وهي لا تزال مستعملة الى الساعة قال رود وكارلس في كتابهما بعد وصف مطول في كيفية تنظيف الشريان : ضع ابرة انيورزم أي صنارة ذات طرف مثقوب وحركها الى اعلى واسفل حتى تخلص الشريان مما حولهُ وبعد انفاذ الخيط فيها انزعها من مكانها وارفع الشريان . والقسم الاخير من كلام ابي القاسم ينطبق على مبادىء عملية عصرية فهو يوافق ما في الكتب الحديثة من ان مضاعفات ربط الشريان اسراع التعفن وحدوث النزف بعدهُ وهو المعروف بالنزيف الثانوي

قال لكلارك ان ابا القاسم هو اول من استعمل ربط الشريان لايقاف النزيف ونحن نقول انهُ اول من ادخل الابريسم او الحرير في ربطهِ واول من ادخل أوتار العود فيهما ايضاً وهي مصنوعة من جدار امعاء الغنم وهو ما يتخذ منهُ الخيوط الجراحية في الوقت الحاضر وكلا هذين النوعين من الخيوط يستعمل الى الآن وفوائدها ليس هنا موضع شرحها ولكن أبا القاسم يلمح اليها انها مما لا يسرع اليهِ العفن

عملية استخراج الحصى — هذه العملية هي التي ابتدعها أبو القاسم ننقلها من الكتاب الموجود بايدينا ص ٣٨٢ وطريقتهُ فيها ان يجلس المريض ويضغط الحصوة مساعد الجراح

على شاشة ابريشي وهو بين يدي الجراح نفسه فيحس الحصوة عند عنق المثانة و يضع الجراح اصبعهُ في شعبة ابريشي و يضغط الحصوة اليهِ ثم يشق فيما بين المقعدة والخصيتين لا في الوسط ولكن الى جانب الالية الايسر و يكون الشق على نفس الحصاة و يضغط على الحصوة بالاصبع التي في المخرج ، يكبر الشق موربا او عريضاً من الخارج وضيقاً من جهة المثانة وتخرج الحصوة بالضغط ثم تفحص الحصى على حسب شكلها لان تركيبها فرصف ذوات الزوايا وذوات الحروف والنساء ثم قاس فاذا لم تطاوعك الحصى فاقبض عليها بجفت محكم يكون طرفهُ كالمبرد يضيق على الحصى واذا كانت الحصاة كبيرة جداً فتحاول على كسرها بالكلاليب حتى تخرجها قصداً

وتعرف عملية ابي القاسم اليوم باسم خرق كوكس (Cox Puncture) وتستعمل في مواضع اخرى غير الحصوة بقليل من التصرف

نقول ان عملية الجراح العربي لا زالت تعمل الى اليوم بقليل من التصرف كأن يكون الشق التي تحس يوضع في المثانة سواء كان الشق في الوسط أو الى أحد الجانبين وقد زاحمت هذه عملية أخرى في إخراج الحصوة من جهة البطن في النصف الاخير من القرن الماضي ولكن عملية أبي القاسم ما زالت محافظة لكيانها ولها فخر ابتدائها خصوصاً في تفتيت الحصوة قبل اخراجها . ولها فخر احداث كلاليب تفتيت الحصوة التي ترقت الى حد عظيم

كذلك عملية الشق في المخرج ما يسقط في الاذن مما لا يزال استعمالهُ الى اليوم ويلتمس طريقة تعين لاذن بالحقن . وهذا بحقن كان يصنع من النحاس أو الفضة

كذلك استعمال الماء المالح في غسل الجروح التي يخشى من تقيحها وهو ما يفضل استعمالهُ الى اليوم لانهُ يدرّ فيضان الحاصل في الجرح فيغسلهُ و يمنع تعفنهُ

جراحة العيون (علاج الشعرة) : (١) الكي بالنار . (٢) الكي بالدواء المحرق . (٣) القطع والخياطة . (٤) بقصب الغاب وتلك مستعملة الى اليوم

أما القطع والخياطة فذلك ان تقطع من فوق ظاهر الجسم شكل ورقة الآس ومن باطنهِ شقاً واحداً ثم تخيط التي في الظاهر والفرق بين العمليتين القديمة والحديثة ينحصر في عمق الشق وفي ان يقطع شبه ورقة الآس في الغضروف الموجود باطن دون الجلد

الطريقة وعلاجها — أن تدخل ابرة تحتها وترفعها ثم تدخل تحتها شعرة خيل ثم اصلح بالشعر جانب الشعرة الذي في الخدقة كأنك تنشرها بالشعرة الى آخرها ثم اقطع الباقي أي الذي ليس على الخدقة بمقص و يمكن صلحها بالمقص الاملس وهذا الاخير هو المستعمل

الى اليوم . وهذه العملية لا يزال استعمالها الى اليوم وغاية ما في الامر أن لا تقطع الظفرة كلها بل اقطع الجزء الموجود على القرنية والوه تحت الملتحمة . والنقطة التي تستحق العناية هي طريقة القطع اولاً والمبضع ثانياً وهو لا يزال مستعملاً الى الساعة

علاج السيل في العين — هي عروق دموية تمر فوق القرنية تلقط بالعصارة ثم تقطع كل واحد بالمقص وتعمل هذه العملية الآن بالمشرط

المجرد — طريقتهُ واستعمالهُ وآلتهُ كالحديث تماماً

الكية : (المادة الموجودة خلف القرنية) — تشق القرنية ببضع رقيق في الاكليل وهذه العملية بنصها ونصها في الكتب الحديثة

في علاج الماء النازل في العين — خذ مقدحاً وادخلهُ في الاكليل حتى الماء ثم اكبسهُ الى أسفل فان المريض يرى من ساعتهِ وهذه لا تستعمل الاَّ في النادر لان لها مضاعفات جمة ولكن المقدح لا يزال من الآلات الحديثة

اللحم الزايد في الثلثة ويسمونهُ ايضاً ابيريس — يقطع ويحت مكانهُ او يكوى

جراحة الاسنان — اطلع بالكلاليب ونشر الاسنان الزائدة وتثبيك الاسنان المتحركة بخيوط من ذهب

في قطع اللوزتين — يكبس اللسان بآلتهِ ثم تغرز صنارة في اللوزة وتشد الى خارج الفم ثم تقطع بآلة كالمقراض . وهذه عملية حديثة ايضاً ولكن جرى كثير من التعديل في شكل الآلات

ومما يستحق الذكر ان المؤلف كان يروي تجاربهُ الشخصية وما كان يصيبهُ من الصعوبات وكيف ذللها . وهذه طريقة حسنة لا تزال مستعملة حتى اليوم . وكما يستأصل أورام اللوزتين كذلك تستأصل أورام اللهاة على الطريقة عينها

الاورام — غير المكروسكوب اليوم وجه الطب من القديم الى الحديث فتقسيم الاورام اليوم مكرسكوبي محض أما في زمن المؤلف فكانت تختلف باختلاف محتوياتها من سائل او يابس واجهة من الجسم التي فيها المرض فان الورم الذي يحدث في الرأس قسم بذاتهِ غير الذي يحدث في المعدة والورم الذي يحدث في جسم حي غير الذي يحدث في مفصل . ومن الاورام ما يبط او يشق ومنها ما يقطع عليهِ قطع كورقة الآس أو شكل هلالي او ذي ثلاثة شقوق او ما هو مستدير وينبغي اذا كان الورم عظيماً أن يفرغ ما فيهِ من

الماء او الصديد على عدة مرات لاسيما ان كان المريض ضعيفاً او مسناً ويمحش مكانهُ بالقطن المبلي فان عرض تزيب يغسل بالماء البارد والخل وبعض الاحيان بالخمر وينهى عن استعمالها لانها محرمة

قطع القصبة الهوائية — تشق تحت ثلاث او اربع دوائر من القصبة بالعرض بين غضروفين في الصفاق ويخيط الضروف في الجلد

علاج ثقب الشريان او الانيوريزم — كانوا يستأصلونهُ بين رباطين وكذلك كانوا يستأصلون سرطان الثدي بشق هلالي ويعالجون فتاق السرة بادخال الامعاء الى البطن بعد فتح الثرب ثم عقدهُ بالشوطة وربط اي شريان يميق العمل ثم يشد الورم في اربعة مواضع ويترك حتى يتعفن ويسقط من نفسهِ وكانوا يستعملون طريقة البزل في الاستسقاء بادخال أنبوبة حرفها مبري كبرية القلم بعد شق جدار البطن وهذه لا تزال مستعملة الى الآن

كيفية شق الادرة المائية او القيلة — طريقة الشق واخراج الخصية كاحسن الطرق المعروفة الآن وانما كان أبو القاسم يفضل قطع الصفاق بأكلهِ وهذا لكيلا لا يعود الماء وذلك ما يوصي بهِ اكثر الجراحين أما عملية الفتاق الجراحية فهي ان تشق عليها وتدخل الامعاء الى البطن ثم تستأصل كل ما هو اسفل من خصية واوردة وما اشبه ذلك بعد ربطها من جهة البطن ثم يشد الجرح بالرفايد بعد الربط الوثيق ولكن هذه العملية قلما كانت تعمل والمفضل هو طريقة الكي التي شرحناها آنفاً

وصفوة القول ان العرب لهم الفضل الاكبر في الجراحة على العالم الحديث لانهم حفظوها الى اليوم ولولا ما حرق او التي في الانهار من الكتب الاسبانية العربية لوجدنا امثال هذا الكنز الذي نحتفل بهِ الآن وكان الفضل في ايجادهِ بايدينا هو لجدي المرحوم الشيخ محمد الهراوي الذي كان محرراً لاوى كتب عربية طبية لمدرسة قصر العيني الطبية في عهد المغفور لهُ محمد علي باشا وحفظهُ من بعدهِ شقيقهُ المرحوم الدكتور عبد الرحمن بك الهراوي وكيل قصر العيني سابقاً حتى وصلت الينا اثراً صالحاً لاظهار فضل السلف الصالح

الدكتور

حسين الهراوي

أجسام غريبة في المعدة

ما عرف عن حيوان اساء الى معدته مثل الانسان والشواهد على ذلك كثيرة لا تكاد تحصى وما من طبيب الا اتفق لهُ ان شاهد مرضى عانوا ما عانوا من العذاب والألم بسبب اكلة طاب لهم مذاقها ولم تكن كذلك لمعدتهم . ونذكر اننا عدنا جزاراً مريضاً في بلدة اننه بلبنان فوجدناهُ يشكو امراً حاداً بمعدته كان فوق مرتبة الاحتمال وبعد الفحص والاستقصاء قدرنا انهُ مصاب بسوء الهضم والانسداد المعوي . وقص علينا السبب فقال انهُ اكل في ذلك اليوم لحماً مشوياً ونيئاً اكل منهُ مقداراً يخجل ان يقدرهُ لك ولما اسعفناهُ بمقيئ كان قد مضى على تناوله ذلك الطعام ست ساعات ولكن المقدار الذي تقيأهُ من اللحم ادهشنا حجمهُ فانهُ ملأ صحناً كبيراً تقريبهُ ٣ كيلو غرامات وحجم القطعة الواحدة من اللحم يوازي حجم بيضة الدجاجة

وآخر ما شاهدناهُ بمصر من هذا القبيل مريض في الجيارة عدناهُ في اواسط يوليو الماضي فوجدنا فيهِ اعراضاً تحاكي في ظواهرها اعراض الانسداد المعوي الحاد ولكن الفحص ابان ان الرجل متخم وقد اساء الى معدته بما اكلهُ ولما اسعف بالعلاج تقيأ طعاماً غير مهضوم فيهِ قطع كبيرة الحجم من قشر البطيخ وشيء كثير من بذرته . وعجبنا كيف انهُ ابتلع القشور مع عدم التناسب في حجمها وضيق البلعوم دونها فقد قدرنا قطر القطعة منها بضعفي قطر بلعومهِ وعدناهُ في اليوم التالي فلقيناهُ قد خرج الى عمله

واساءة الانسان الى معدته لا تقتصر على الطعام فالمشروبات الكحولية الكاوية التي يكبها و يجرعها بلا حساب تفعل بالنسيج المعوي فعلها المعروف وليس هنا محل ايرادهُ ولا تقتصر الاساءة على فئة دون اخرى فالكل يسيء الى معدته بقدر ما تسمح لهُ ظروفهُ واحوالهُ وقد درج على هذه العادة وهو طفل . فالطفل كما هو معلوم يضع كل شيء قبضت عليهِ يدهُ في فيهِ بلا فرق ولا استثناء ولذلك تشاهد حوادث محزنة جداً في هذه الفئة الصغيرة تكون اسبابها الاهمال من جانب الام او المربية او من الاثنتين معاً . ولو انحصرت اساءة الانسان الى معدته بما يتناولهُ من الطعام للتغذية لهان شرها ولكن من اساءاتهِ اليها تعديها الى ما يجلبهُ من مواد صلبة لا يرجو منها فائدة للغذاء ولا الارواء فهو يتدرج الى ابتلاعها من اللعب والتسلية بها حتى يألف ارسالها الى جوفهِ بسهوله ومن غير تروٍّ . وقد دلت الشواهد

على وجود اجسام غريبة في المعدة مثل دبابيس وموسى وسكين وملعقة وشوكة وابرة وكستبان ومفتاح وقطع زجاج وازرار ونحوها . ولا يكاد يخلو بسفرها من ذكرها ولا معرض فني من عرض الامثلة على تكرار حدوثها في الانسان دون سواهُ . وليست الغرابة ان نعثر على قطعة واحدة من الادوات المار ذكرها فقد دلَّ احصاء تسعين حادثة جمعناها من الكتب التي بين ايدينا ان ثمانياً وستين وجد في كل منها قطعة واحدة فقط واكثر من قطعة في الاثنتين والعشرين الباقية . ومنها مشاهدة وجد فيها ٤٢ مسماراً طول المسمار بوصة و $\frac{3}{4}$ واخرى ٩٣ من المسامير الصغيرة و ١٣ زرًّا ودبوس واحد وابرة واحدة . وشاهد الاستاذ كين فتاة عمرها عشرون سنة وجد في معدتها كتلة شعر كثة بلغ وزنها ٥ ارطال و ٣ اواق وطولها ١٣ بوصة

وورد في المجلة الاميركية في عدد مارس الماضي مشاهدة غريبة للاستاذ جايس عن سيدة اسبانية عمرها ٣٥ سنة مضى عليها اربع سنوات وهي تشكو المآلي القسم السري . وكثيراً ما طلبت الاستشفاء عن يد اطباء معروفين بالامراض الباطنية بلا جدوى بل كان يزداد الالم شدة شيئاً فشيئاً وتدرج من الوجع الخفيف الى درجة لم تعد تحتملها . وقبل انتقالها الى الاسبتالية بمدة شهرين بدت عليها اعراض حمى عفنة وتسمم وانحطاط في قواها وخوف زائد من الطعام الجامد لان كل انواع الطعام الجامدة كانت ثقيلة على معدتها تسبب لها المآلَ اشد مما بها . فكان طعامها اللبن وهذا كان يتعبها ايضاً اذا اخذت منهُ دفعة كبيرة وكانت اغلب الاوقات تستلقي على ظهرها وتثني رجلها الى بطنها من شدة الألم ولما دخلت الاسبتالية كانت الحرارة تتراوح بين ٩٩ الى ١٠٢ بميزان فارنهيت والنبض بين ١٣٠ و١٣٥ . والتنفس بين ٣٠ و٣٥ في الدقيقة وفي حالة ضعف وهذيان عظيمين وكان البطن منتفخاً انتفاخاً بسيطاً واثبت الجس وجود كتلة قاسية في القسم السري بالمعراف الى الشمال والاطراف السفلى وارمة . فعملت لها عملية اسفرت عن وجود ٩٢ دبوساً من دبابيس الشعر في المعدة كما ترى في الشكل . وشوهد في بعض الدبابيس تآكل بفعل عصير المعدة الهاضم . ونعم بما تقدم عبرة وفائدة

الدكتور شخاشيري

طرائف من أدب العرب

(٨)

العقد الفريد لابن عبد ربّه

اعرف ادبيًّا فيه عيبان ظريف قلّما قادهُ غير مرة الى السجن هذا اول وحرفة الادب[1] وهي العيب الثاني. قال لي هذا الاديب وانا شديد التعجب بأدبه الرائع « قرأت العقد الفريد في سجني ثلاثين مرة » وهذا يشبه قول الفارابي في كتاب النفس لارسطو « قرأت هذا الكتاب مئة مرة » او قولهُ في كتاب آخر لارسطو « قرأت هذا الكتاب اربعين مرة واراني احتاج الى معاودة قراءته » - على انك قد تقرأ كتابًا ما ما شئت من المرات فلا ينتفع احدكما من صاحبه اذا لم تجمع الى القراءة صدرًا واعيًا وفؤادًا ذكيًّا

وهذا الاديب عينهُ عاد في الزمن الاخير وبعد فوات الفرصة يتحسّر على ما كان من إضاعة العمر — والعمر قصير — في قراءة العقد الفريد أو غيره من كتب الادب ويودّ لو يعيدهُ الله سيرتهُ الاولى اذًا لاكتفى بقراءة الاغاني للاصبهاني حسبان ان كل الصيد فيه

لكن هذا لا يقدح في كتاب اتفق الكتّاب على وضعهِ هو وكاتبهِ في المقام الاول. فقال ابن خلكان في ترجمة ابن عبد ربه « وصنف كتابهُ العقد وهو من الكتب الممتعة حوى من كل شيء » . ويقال إن أديبًا اندلسيًّا حجّ وعرّج على مصر بعد عودته من الحج فرأى فيها المتنبي فقال لهُ المتنبي « أنشدني مليح الاندلس » أي ابن عبد ربه فانشده فاهتزّ لهُ المتنبي واستعادهُ وقال « يا ابن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبرًا » . وإن لم تكفِ هاتان الشهادتان في بيان مقام ابن عبد ربه في الادب فلعلهُ يكفي ان جمال الدين بن منظور صاحب لسان العرب عني باختصار العقد الفريد كما ورد في الجزء الاول من اللسان قبل المقدمة

---

(١) هذا مأخوذ من قول بعضهم في الخليفة الطليب القاهر المعتز بالله عبد الله بن المعتضد

لله درك من ملك بهيئة ناهيك في العلم والعلياء والحسب
ما نيل لولا ولا ليث تنقصهُ وإنما ادركهُ معرفة الادب

اي الفقر. وقال ابن الساعاتي :

هجرت قضيّ له لا من مهانتهِ لكنها خيفة من معرفة الادب

وقال مستشرق انكليزي مشهور في ابن عبد ربه : كان ذا شهرة عظيمة في العلم والبلاغة . وليس في المكتاب ديوان لهُ ولكن في « يتيمة الدهر » مقطعات كثيرة من شعره . على ان اشهر ما اشتهر بهِ كتابهُ العقد الفريد وهو كتاب ادب كثير الشبه بكتاب عيون الاخبار لابن قتيبة الذي اقتبس منهُ كثيراً »

***

ابن عبد ربه كاتب اندلسي من كتّاب اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة . عاصر المتنبي ومات قبلهُ بنحو ثلاثين سنة . وكان من معاصريهِ ابن دريد اللغوي وابو الحسن الاشعري واضع علم الكلام والمسعودي المؤرخ المشهور والاصبهاني صاحب الاغاني وغيرهم من العلماء الاعلام . وكتابهُ العقد الفريد مبوب في خمسة وعشرين باباً جزئت على ثلاثة اجزاء . وقد سمّى كل باب منها باسم جوهرة فانتظم من هذه الجواهر عقد هذا العقد الفريد اما الجواهر فهي اللؤلؤة والفريدة والزبرجدة والجمانة والمرجانة والياقوتة والجوهرة والزمردة والدرة واليتيمة والعسجدة والمجنّبة والواسطة . وهذه الاخيرة هي الثالثة عشرة وسمّاها الواسطة لانها واسطة العقد اي في وسطهِ فما قبلها اثنتا عشرة جوهرة وما بعدها مثلها عدداً . والظاهر انهُ اعياهُ تسمية النصف الثاني من العقد باسماء جواهر جديدة فسمّى الرابعة عشرة المجنبة الثانية والخامسة عشرة العسجدة الثانية وعلّم جرّاً متقهقراً الى اللؤلؤة الثانية اي الجوهرة الخامسة والعشرين

وان من يحاول تلخيص هذه الابواب كلها كمن يحاول تفريغ البحر بصدفة — يفرغ عمرهُ ولا يفرغ عملهُ فلذلك رأيت ان اقتصر من العقد الفريد على الزمردة الثانية في فضائل الشعر وهي الجوهرة الثامنة عشرة كما لا يخفى . وانما وقع اختياري عليها لانها حوت في الكلام عن الشعر كلّ ما لذّ وطاب مما لا تكاد تجد لهُ مثلاً في كتاب واحد

اشعر الشعراء

اختلف الناس في اشعر الشعراء . قال النبي صلى الله عليهِ وسلم — وذكر عندهُ امرؤ القيس بن حجر — هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم . وقال عمر بن الخطاب للوفد الذين قدموا عليهِ من غطفان اسمن الذي يقول :

حلفت فلم اترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

قالوا نابغة ذبيان : قال لهم فمن الذي يقول هذا الشعر :

أتيتك عارياً خلقاً ثيابي على وجل تظنّ بي الظنونُ
فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

قالوا هو النابغة . قال هو الشعر شعرائكم . وما احسب عمر ذهب الاّ الى انهُ اشعر شعراء غطفان . ويدلُّ على ذلك قولهُ هو اشعر شعرائكم . وقد قال عمر لابن عباس انشدني لاشعر الناس الذي لا يعاظل[1] من القوافي ولا يتبع حوشي الكلام . قال مَن ذاك يا امير المؤمنين . قال زهير بن ابي سلمى . فلم يزل ينشدهُ من شعره حتى اصبح . وقيل للبيد من اشعر الشعراء قال صاحب الغروج يريد امرأ القيس . قيل لهُ فبعدهُ مَن[2] . قال ابن

(١) المعاظلة في القوافي هي التضمين في نوع وهو تعلق قافية البيت بما بعدهُ على وجه لا يستتمُّ الافادة كقول النابغة :

وهم وردوا الجفار على تميم وهم اصحاب يوم عكاظ اني
شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الودّ مني

ولكن يؤخذ ما قالهُ ابو الخطاب القرشي في جمهرة اشعار العرب ان المراد بالمعاظلة هنا ترديد الكلام في القافية بمعنى واحد . وقال ابن الاثير المعاظلة ان لا تعقد الكلام وتوالي بعضهُ فوق بعض

(٢) يقول النحاة ان ادوات الاستفهام والشرط ونحوها من ذوات الصدر وهي ما تعين لهُ صدر الكلام الداخل عليهِ . ولكن ورد في كلام فصحاء العرب ما يخالف ذلك . ففي التاريخ ان عائشة خرجت من مكة تريد المدينة وكان تصور فلقيها عبيد بن ابي سلمة فقالت لهُ بهيم (اي ما وراءك) قال تمل غثان و بقوا غثاثاً . قالت ثم صنعوا ماذا فاخرت اداة الاستفهام

وقرأت في الاغاني انهُ كان بالكوفة رجل من النخع يجتمع اليهِ الناس فيتذاكرون الشعر . فذكر يوماً شعر عمر بن ابي ربيعة فعابهُ . فقالوا لهُ بئس ترعى . وسرَّ بهم حماد الراوية فقال قد رعيت بيداً . فقالوا لهُ ما تقول فيمن يزعم ان عمر بن ابي ربيعة لم يحسن شيئاً . فقال ابن هذا اذهبوا بهِ اليهِ . قالوا فصنع بهِ ماذا . قال . . . . (وهنا شتم قبيح) وحماد الراوية من اهل القرن الثاني للهجرة

وقال سعيد بن المسيب لنوفل بن مساحق من اشعر عبدالله بن قيس او عمر بن ابي ربيعة . فقال نوفل حين يقولان ماذا يا ابا محمد . وهما من فحول الشعراء العرب في صدر الاسلام

ودخل نصيب الشاعر على عمر بن عبد العزيز بعد ما ولي الخلافة فقال لهُ سل حاجتك . فقال يمانيات نفضت عليهنَّ سوادي (وكان نصيب اسود البشرة) فكيف ارغب بهنَّ عن السودان وبرغب عنهنَّ اليمان . قال فتريد ماذا . وهذا من اهل القرن الاول للهجرة

ودخل نصيب على عبد العزيز بن مروان فقال لهُ عبد العزيز هل عشقت قط . قال نعم امةً لبني مدلج . قال فكيف تصنع ماذا

ومعلوم ان اللغة العامية المصرية تؤخر ادوات الاستفهام عن المستفهم عنهُ مما لا مثيل لهُ في اللغات العربية الاخرى ولا في اللغات الغربية المشهورة على ما اعلم . وقد كنت اتعجب كيف تعرقت هذه البدعة الى اللغة العامية هنا فاذا هي ليست غريبة عن العربية الفصحى كما رأيت

المشرين يعني طرفة . قيل لهُ فبعدهُ من قال اذا . وقيل للحُطَيئة من اشعر الناس . قال الذي يقول :

من يسأل الناس يحرموهُ وسائل الله لا يخيبُ

يريد عبيد بن الابرص . وقيل لهُ فبعدهُ من فاخرج لسانهُ وقال هذا اذا رغب . وسئل حماد الراوية عن شعر ابن ابي ربيعة فقال ذلك الفسق المقشر الذي لا يشبع منهُ[1]

واختلف الناس في اشعر نصف بيت قالتهُ العرب . فقال بعضهم قول ابي ذؤيب الهذلي « والدهر ليس بمعتب[2] من يجزع »

وقال بعضهم قول زهير « ومن يك رهناً للحوادث يقلق »

وقالوا ان اخر بيت قالتهُ العرب قول حسان بن ثابت

ويوم بدر اذ يردّ وجوههم جبريل تحت لوائهم ومحمدا

واحكم بيت قولهُ ايضاً :

فان امرأً امسى واصبح سالماً من الناس الاَّ ماحي لسعيدُ

وابدع بيت قول ابي ذؤيب الهذلي :

والنفس راغبة اذا رغبتها واذا تردّ الى قليل تقنعُ[3]

---

(١) وقرأت في الاغاني ان حماد الراوية سئل عن شعر عمر بن ابي ربيعة فقال ذاك الفسق المقشر . وفي الحاشية هذه العبارة (قوله الفسق المقشر في لحية الفاسق المفسد) . وهذا من اغرب التحريف ولا يستقيم اذا صحت الرواية المذكورة في الحاشية السابقة فانها تدلُّ على شدة اعجاب حماد بشعر ابن ابي ربيعة حتى شغم ماجدة . ونسمت لفظة (الفسق المقشر) الى الاصمعي ايضاً فانهُ قالها في احسان شيء غاب عني الآن وذكر ذلك في البيان والتبيين

(٢) وفي رواية (والدهر ليس بمعتب من يجزع) اي بمرضٍ بعد الاحتياط ولعلها الرواية الصحيحة . وابو ذؤيب هذا تخضرم اي ادرك الجاهلية والاسلام . والشطر المذكور هو عجز مطلع مرثية رثى بها خمسة بنين له اهلكهم الطاعون في سنة واحدة . والصدر (امن المنون وريبه تتوجع) ومن ابياتها المشهورة

ولدا العمية انشبت اظفارها الفيت كل تميمة لا تنفعُ

على انهُ لم كان في الشطر كفه (مسعف) مكان (معتب) لم يكن بهما من باس . فقد ورد في صبح الاعشى (والمولدون يستعملون اسعفه بمعنى ساعدهُ) ثم استشهد ببيت لابن المعتز ولكن ابن المعتز مولد . وفي التاج (اسعف الرجل بحاجته قضاها لهُ) اي ساعدهُ كساعفهُ . وجاء في الاغاني في خبر عن احمد بن ابراهيم الموصلي في عهد الرشيد (فركبت معه اسألك ان تسعفني فيما سألت) . وعهد الرشيد من عهد المولدين

(٣) وهو من مراثيه المشهورة التي تقدمت الاشارة اليها

واصدق بيت قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطلُ وكل نعيم لا محالة زائلُ

هذه زبدة ما ورد في العقد الفريد عن شعر الشعراء واجمل الابيات . وقد جاء في مواضع اخرى انهم قالوا ان زهير بن ابي سلمى هو اشعر العرب وان النبي انما قال ان امرء القيس يقدم بلواء الشعراء الى النار لتقدمه في الشعر . وانكر غيرهم هذا القول وقالوا لو كانت التقدمة بالتقدم لقدم النبي ابن خذام[1] على امرىء القيس

وجاء في رواية اخرى عن حديث عمر وابن عباس[2] السالف الذكر ان عمر كان جالساً في اصحابه يتذاكرون الشعر والشعراء فيقول بعضهم فلان اشعر ويقول آخر بل فلان اشعر . فقيل لابن عباس بالباب فقال عمر قد اتى من يحدث من اشعر الناس . فلما سلم وجلس قال لهُ عمر يا ابن عباس من اشعر الناس قال زهير يا امير المؤمنين . قال عمر ولِمَ ذلك . قال لقوله يمدح هرماً وقومهُ بني مرة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
جنٌ اذا فزعوا إنس اذا امنوا مرزؤن بهاليلٌ اذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم لا يرزع الله عنهم ما بهِ حسدوا

قال عمر صدقت يا ابن عباس

وذكرت حكاية عمر ووفد غطفان في مكان آخر وخلاصتها : خرج عمر وبابهِ وفد غطفان فقال اي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم اترك لنفسي ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ
ولست بمستبقٍ اخاً لا تلمهُ على شعثٍ اي الرجال المهذبُ

(وهذا البيت الثاني اشهر من نار على علم) . قالوا النابغة يا امير المؤمنين . قال فمن القائل (وهذه الابيات المذكورة في الرواية الماضية) قالوا النابغة . قال فمن القائل :

الا سليمان اذ قال الاله لهُ قم في البرية فاحددها عن الفندِ

قالوا النابغة . قال هو اشعر شعرائكم

وفي مكان ان اول من قال الشعر ابونا آدم حيث رثى ابنهُ هابيل قال :

---

(١) ابن خذام شاعر يقال انهُ قال الشعر قبل امرىء القيس بدليل قول امرىء القيس :

خرجا خليليَّ نقدا لمطلنا نبكي الديار كما بكى ابن خذام

(٢) ابن عمّ النبي دعا لهُ النبي بالحكمة وسنكلم عن ذلك حين ولد

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيحُ
تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه الصبيحُ (١)
وجاورنا عدوّ ليس يفنى لعين لا يموت فنستريحُ
أهابك ان قتلتَ فان قلبي عليك اليوم مكتئب قريحُ

فاجابهُ ابليس :

تنحّ عن الجنان وساكنيها فني الفردوس ضاق بك الفسيحُ
وكنت جارز وجك في رخاء وقلبك من اذى الدنيا مريحُ
فما برحت مكايدتي ومكري الى ان فاتك الثمن الربيحُ
ولولا رحمة الرحمن امسى بكفك من جنان الخلد ريحُ

وزعموا ان بعض الملائكة نظم هذا البيت :

لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير الى الذهاب

ولا يخفى ان كل ذلك موضوع على لسان ادم وابليس والملائكة كما وضع شعر ملتن المعروف بالفردوس المفقود

وذكروا ان الخلفاء الراشدين نظموا الشعر فقال ابو بكر الصديق يرثي النبي :

اجدّك ما لعينك لا تنام كأنّ جفونها فيها كلامُ

وقال عمر بن الخطاب :

ما زلت مذ وضعوا فراش محمد كيما يمرّض خائفاً تترجعُ

وقال عليّ :

ألا طرق الناعي بليل فراعني وارّقني لما استقرّ منادياً

وقال عثمان :

فيا عين ابكي ولا تسأمي وحق البكاء على السيّدِ

***

اما الحكم في اشعر الشعراء او في احكم الشعر او ابدعه او اصدقه فمن اصعب الصعب اذ المسئلة مسئلة ذوق والذوق يختلف باختلاف العقول والوجوه فقد ترى حسناً ما ليس بالحسن وترى حكيماً ما لا يرى فيه وجه الحكمة غيرك او تجد غيره احكم منهُ

(١) يشابه قبيح وحذف التنوين لالتقاء الساكنين هكذا يزعمون وهو يخالف المعروف

وعندي ان هذا البيت :

ومن هابني في كل شيء وهبتهُ فلا هو يعطيني ولا هو سائلهُ

او ما ورد على مثاله ونسج على منواله هو احسن الشعر

ويختلف نظر الناس الى الامور ايضاً باختلاف امزجتهم واعمارهم . فصاحب السوداء يقدم الرثاء على الغزل والمدح . والعصبي المزاج ربما قدم الحماسة على الحكمة . والشاب يستحسن من الشعر مالا يستحسن الشيخ والشيخ مالا يستحسن الشاب . فقد كنت واذا حدّثت اطرب بقول المتنبي :

من الحلم ان تستعمل الجهل دونهُ اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وان ترد الماء الذي شطرهُ دمٌ فتسقي اذا لم يسقَ من لم يزاحم

وذهب بي اعجابي بهما وطربي لهما ان قلت لصديق لي اذ جاءك يوماً نعيٌ فقل كان رحمهُ الله يتمثل ببهذين البيتين فيرقص طرباً لجمعها بين الحكمة الرائعة والحماسة التي ليس بعدها مجال لأحس . اما اليوم وقد وهن العظم واشتعل الرأس شيباً فقد لا ارى فيها ما كنت أرى من قبل ولا اهتز لها كما كنت اهتزّ في عنفوان الشباب . وربما كنت الآن اشدّ طرباً واعجاباً بقول ابي الطيب :

آلة العيش صحة وشباب فاذا ولّيا عن المرء ولّى

ثم متى آذنت شمس العمر بالمغيب فربما بتّ اكثر استحساناً لقوله :

واذا الشيخ قال اف فما مـــلّ حياة وانما الضعف ملاّ

وقد تعروني هزة في الرمس فانتفض لقوله :

لا بدّ للانسان من ضجعة لا تقلب الفضجع عن جنبهِ

ينسى بها ما كان من عجبهِ وما اذاق الموت من كربهِ

ولكن يقال اجمالاً ما قال شاعر قديم :

وان احسن بيت انت قائلهُ بيت يقال اذا انشدتهُ صدقا

يقابل ذلك حكمة قديمة وهي قولهم « اعذب الشعر اكذبهُ »

(تقيب)

صفحة من تاريخ التجارة المصرية

النزاع والخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند

(تابع ما قبلهُ)

وقد روى الشيخ زين الدين صاحب كتاب « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين » ان « ابتداء وصولهم الى مليبار كان سنة ٩٠٠ للهجرة النبوية (١٤٩٨ م) وصلوا الى فندرينة (Pandarane) في ثلاث سماريات[1] بعد انقطاع موسم[2] الهند ثم خرجوا منها الى بندر كاليكوت في طريق البر واقاموا فيها شهوراً يتعرفون اخبار مليبار واحوالها ولم يشتغلوا بالتجارة بل رجعوا الى بلدهم برتكال . وسبب وصولهم الى مليبار على ما يحكى عنهم طلب بلاد الفلفل لتختص تجارتهُ بهم فانهم ما كانوا يشترونهُ الاَّ من الذين يجلبونهُ من مليبار بوسائط[3] »

هكذا توصل البرتقاليون الى العشور على الطريق البحري الموصل الى بلاد الهند . وسنرى اي انقلاب حصل في بلاد المشرق بسبب هذه الخطوة الاولى . نعم ان تجار العرب قد تفطنوا الى هذا الخطب المقبل عليهم بكلكلهِ فشمروا عن ساعد الجد وتألبوا على احباط ڤاسكوحتى لا يكون لهم مزاحم في هذه السوق الكثيرة الخيرات . وقد بذلوا كل ما في وسعهم لمنع هذا الدخيل من مشاركتهم في احتكارهم لانهم ادركوا ان هذه المشاركة لا بد ان تفضي بالبرتقال الى الاستئثار بالسوق واقصاء كل من عداهم عنها . فاعتدى ڤاسكو بنفسهِ على نفسهِ بمباغتاتهِ وتهورهِ في معاملاتهِ حتى ان السامري صاحب كاليكوت ردهُ حيث اتى . فحقد عليهِ ڤاسكو حقداً عظيماً سنرى آثارهُ عند مجيئهِ هذه البلاد في المرة الثانية . كيف لا يحقد وهو مع كل ما بذلهُ من المجهودات والمصروفات لم يتمكَّن من الرجوع بشيء يذكر اللهم الاَّ بعض بالات من الفلفل والبهارات وقليل من الاحجار الكريمة وكمية زهيدة من

---

(١) اسم للسفن التي تستعمل فيها السامير لربط انواحها بعضها ببعض بخلاف السفن المستعملة في بحر الهند التي تربط الالواح او تكون مؤلفة من جذع شجرة كبيرة وهذا النوع الاخير يطلق الافرنج عليهِ لفظ Yonque وهو اللفظ الذي استعملهُ ابن بطوطة فقال « جنك » وجمعهُ على « اجناك »

(٢) الريح الشديدة الخاصة ببحار الهند وهي التي يسميها الافرنج Mousson عن اللفظ العربي وهي انقطاع موسم الهند وسكون الريح اشار احمد بن ماجد ، اشاريهِ على ڤاسكو في رواية قطب الدين

(٣) عن « تحفة المجاهدين في بعض احوال البرتكاليين » للشيخ زين الدين . طبع لشبونة

اللآلئ والدراري . استخدم هذا الرسق الطفيف بمثابة النموذج والرموز او العينة والمثال للدلالة على اهمية تلك السوق وما فيها من بنابيع الثروة واليسار . ثم ان التجربة الاولى لم تأتِ بالنتيجة المبتغاة من حيث الوجهة التجارية . لكنها افادت اكبر فائدة من حيث انها كانت كالطليعة لارتياد الطريق وتمهيدها للمستقبل القريب . ومن هذه الوجهة كانت هذه التجربة مكللة بالنجاح التام . كيف لا وقد توفق ڤاسكو الى الرجوع من هذه الرحلة بكنز ثمين واعني به رجلاً واحداً .

هذا الرجل كان طليانيًا فتمصر ثم تهند . هذا الرجل كان يهوديًا فتمسلم ثم تنصر — هذا الرجل هو جسپار وما ادراك ما جسپار؟ يهودي من اهل ايطاليا هبط على الاسكندرية في ايام السلطان قايتباي فدرس شؤنها التجارية دراسة وافية ثم سافر الى القاهرة فكلة فبلاد مليبار وهناك تجوّل في جميع اقطار الهند ووقف على كل احوالها التجارية والسياسية والجغرافية ثم دخل في دين الاسلام وكان في خدمة سلطان كوه (Goa) حينما وصلها ڤاسكو دوجاما فداخلهُ وكاشفهُ بأصلهِ الافرنجي وطلب اليهِ ان يمدّهُ فتنصّر على يديهِ . وحينئذٍ افضى اليهِ بثمرة معارفهِ التي اكتسبها بعد الخبرة والممارسة مدة ٣٠ سنة واحاطهُ علمًا باحوال كاليكوت وغيرها من مدائن الهند والهند الصينية وعرّفهُ بمحاصيلها إقليميًا وأسعارها وبما تحتاج اليهِ من السلع والبضائع الاوربية ثم رضي بالذهاب معهُ الى البرتغال . فلا مثل ذلك اليهودي المسلماني المتنصر بين يدي عمانوئيل فرح بهِ وانعم عليهِ بمرتب سنة كاملة . اما ڤاسكو دوجاما فقد اضاف الملك الى القابهِ لقب « سيد الفتح والملاحة والتجارة في بلاد الحبش والعرب والفرس والهند » . وقد امر الملك بارسال تجربة ثانية الى بلاد الهند تحت امرة كابرال واضاف اليها جاسپار اليهودي المسلماني المتنصر بصفة دليل ومستشار

تحرّك الاميرال كابرال من لشبونة في ٩ مارس سنة ١٥٠٠ (٨ شعبان سنة ٩٠٥) وهو على رأس اسطول حقيقي فيهِ السلاح الكافي لمقاتلة اهل مليبار (اذا لو حاولوا الدفاع عن اوطانهم) ولمحاربة المصريين (اذا حدثتهم انفسهم بالمحافظة على مركزهم التجاري والسياسي في كاليكوت . وكان مع كابرال كمية وافرة من النقدين الكريمين ومن البضائع الاوربية لاجل الحصول على الفلفل والابازير بطريق الشراء والمقايضة غير ان هذا الاسطول تحطم بعضهُ عند رأس الزوابع وطاح بعضهُ في البحار فلم يصل من هذا القسم الثاني امام كاليكوت سوى ست سماريات كانت فيها الكفاية لارهاب السامري بحيث انهُ اذن للبرتغال بالنزول على مدينتهِ وانشاء مخزن فيها للتجارة . فدخلوا كاليكوت على هيئة التجار

واشتغلوا بالتجارات ثم تدرّجوا في مطامعهم فبنى لهم كابرال قلعة « شيناكوتا » اي قلعة الصينيين ووضع فيها حامية لتخفر موّالفة من ١٠٠ رجل او ٧٠ او ٦٠ على اختلاف اقوال مؤرخي البرتقال . وحينئذٍ توسّعوا في مطالبهم فارادوا ان يستأثروا وحدهم بالسوق دون المصريين فقالوا لعامل السامري : « ينبغي منع المسلمين من تجاراتهم ومن السفر الى بلاد العرب والفوائد الحاصلة منهم يحصل منّا اضعافها [1] »

وقد كان للتجار المصريين مكانة ممتازة عند اهل مليبار لصدقهم وامانتهم وكان المسلمون المتوطنون في هذا الساحل محبوبين محترمين عند السامري ورعيته لما اتصفوا به من جميل الخصال ومكارم الاخلاق . فلذلك لم يستمع السامري لطلب البرتقال بل اصاخ لشكوى عملائه المصريين واظهر الميل لهم مما اوجب غضب كابرال فقبض على سفينة عربية ثم اوعز الى رجاله بالاعتداء على المسلمين في المعاملات فهاج العامة على البرتقاليين فقتلوا منهم نحو سبعين او ستين على ما يقول زين الدين . اما مؤرخو البرتقال فيقول بعضهم ان عدد المقتولين من حامية القلعة كان ٣٦ رجلاً و يقول البعض الآخر ان عدد القتلى والجرحى انما كان ٥٠ او ٥٤ وعلى كل حال فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان بقية الحامية لجأت الى الاسطول البرتقالي وان كابرال اصدر امرهُ بضرب المدينة بالمدافع يومين كاملين موجهاً قنابلهُ ونيران مدافعهِ بنوع خاص الى السفن التجارية المصرية حتى اغرقها بما فيها و بمن فيها من نساء واطفال [2] بهذا الشكل الفظيع القاسي قطع كابرال علاقاتهُ مع السامري و بلادهِ ومن العجائب ان هذه الفظاعة كان فيها فائدة كبرى لامبرال البرتقال لم تكن تخطر لهُ على بال . ذلك ان سلطان كشي وسلطان كنور توددا الى كابرال ليشفيا ما في صدورهما من غلّ وحزازات واحقاد نحو السامري و بلادهِ فاغتنم البرتقاليون هذا التوفيق الذي ساقهُ اليهم المقدور وذهبوا الى بندر كشي (Cochin) وصالحوا اهلها و بنوا فيها على ما يقول زين الدين قلعة صغيرة وهي اول قلعة بنوها في الهند واتخذوها مسكنهم وهدموا مسجداً كان في ساحل البحر و بنوا بيعة وصلوا اهلها . وكذلك صنعوا في بندر كنور . واما مؤرخو البرتقال فلا ينكرون هدم المسجد و بناء البيعة ولكنهم يقولون انهم في هذه السنة اقتصروا على بناء المخازن التجارية واما القلاع فيؤكدون انهم انما بدؤا في بندر كشي باقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٣ (سنة ٩٠٩ هـ) ثم شيدوا قلعة من الحجر [3] بعد ثلاث سنوات

(١) تحفة المجاهدين (٢) انظر هيد Heyd والبارون ركلوس Elisée Reclus (٣) لان استخدام الحجر في البناء لم يكن في بلاد مليبار معروفاً الا فيما يتعلق بها كل الاصنام (Pagodes) وقصور الملوك

واما في بندر كنتور فانهم بدأوا باقامة برج من الخشب في سنة ١٥٠٥ ثم شيدوا قلعة من الحجر في سنة ١٥٠٧

ومهما يكن من امر الحصون والقلاع فقد اتفق مؤرخو الطرفين على ان كابرال اخذ من هذين البندرين كل ما اراد من البضائع وانهُ تمون في كشي بالفلفل وفي كنتور بالقرفة والزنجبيل ورجع البرتغاليون الى « بلادهم بمقصودهم الاعظم الذي لأجلهِ قطعوا المسافات البعيدة » فعاد كابرال الى لشبونة فائزاً بغنائم ومتاجر واموال اربت على كل ما كان في الحسبان .

وبعد سنة اي في سنة ١٥٠١ (سنة ٩٠٧ هـ) ارسل عمانويل اسطولاً مؤلفاً من اربع مسماريّات . ونزلوا في كشي وكنتور وعادوا الى بلدهم بالفلفل والزنجبيل

وفي السنة التي تليها وصل فاسكو دوجاما للمرة الثانية الى ساحل مليبار بلقب « اميرال بحر الهنود » ومعهُ اسطول مؤلف من عشرين مسمارية او احدى وعشرين او اثنتين وعشرين أو ثماني عشرة كما يقول زين الدين . اما مؤرخو البرتغال فبعضهم يقول ان هذا الاسطول كان مؤلفاً من ٢٥ قطعة منها ١٢ من سفن الدولة والباقي من سفن التجار والبعض الآخر يقول ان هذه العمارة كانت مؤلفة من عشرين قطعة منها خمس مخصصة لاقتحام البحر الاحمر لتعقب سفن مكة ويقولون ان هذه الخمس قد ذهبت فعلاً الى محل مأمور بتها فوقفت عند باب المندب لمنع دخول الاسطول التجاري المصري من بحر الهند واصدّ سفن التجارة القادمة من الهند عن الذهاب الى الموانئ المصرية . ولقد نجح هذا القسم في مهمتهِ اذ تمكن من القبض على سفينة تجارية مصرية قادمة من البحر الاحمر وفيها وسق حافل بأصناف التجارات لا يقل ثمنهُ عن ٢٤ الف دوكات (دينار بندقي) ثم انضم هذا القسم الى بقية الاسطول فساروا بهِ فاسكو دوجاما الى بلاد مليبار فالتقى ببعض مراكب لتجار مصر كانت مشحونة بالافاوية من الهند وراجعة الى السويس فنهب ما فيها من البضائع واغرقها وكان بينها مركبان [1] للسلطان الغوري فلما وصل فاسكو دوجاما الى كاليكوت ارسل للسامري سلطانها يأمرهُ باخراج العرب والمصريين وسائر المسلمين من ديار مليبار وكان عددهم لا يقل عن اربعة آلاف نسمة وكلهم من اهل الثروة واليسار المعروفين بالاستقامة والامانة فلم يرَ السامري من مصلحة بلادهِ ولا من العدل ان يجيب هذا الطلب فاطلق البرتغاليين فنابلهم على المدينة وشنوا الغارة الشعواء على السامري وقزوا عليهِ قزواً مبيناً . ثم ذهب فاسكو باسطولهِ الى قاحيتي كشي وكنتور فرأى ان سلطانيهما مخرفان عليهِ بل مجاهران لهُ

(١) [المقتطف] شهر مارس سنة ١٩٠٧

بالخصام لكنهُ نجح في استدراجهن الى المودة والعهد القديم لاسيما بعد فوزهِ على السامري ونكايتهِ بتجار مصر في مليبار وقبضهِ على السفينة التجارية المصرية عند خروجها من البحر الاحمر . فبهذا الفوز الثالث تمكن من تسخير السلطانين لامرهِ وتيسر لهُ شراء الفلفل والتوابل والابازير بثمن يقل عما دفعهُ في المرة الاولى بمقدار ٢٠ في المائة . ولقد استخدم ما اتى بهِ من النقود الكثيرة وما اصابهُ في السفينة المصرية التي اختصها في الحصول على بضائع فوق كل ما كان يقدرهُ او ينتظرهُ حتى شحن جميع مراكبهِ وبقي من البضاعة مقدار جسيم ابقاهُ الى فرصة اخرى في المخازن التي بناها البرتقال على سواحل مليبار وغيرها من بلاد الهند واحكموا تحصينها بالقلاع وحمايتها بالمدافع والرجال ثم رجع ادراجهُ الى لشبونة في اوائل سبتمبر سنة ١٥٠٣ (ربيع الاول سنة ٩٠٩ هـ) وبجموع وسقهِ بين ٣٠ و ٣٥ الف قنطار من الابازير (والقنطار عبارة عن ١٥٠ الى ١٦٨ رطلاً من اطال البنادقة) ومعظم هذا الوسق من الفلفل فقد كان مقدارهُ وحدهُ لا يقلُّ عن خمسة آلاف قنطار باقي الوسق من القرفة والزنجبيل وجوز الطيب هذا الى مقدار عظيم من الاحجار الكريمة والدراري الغالية القيمة بحيث بلغت قيمة الشحن مليون دينار بندقي مع ان مصاريف التجريدة كلها لم تزد على مئتي الف بمعنى أن الربح كان عبارة عن اربعمائة في المائة (٤٠٠ ٪) فضلاً عن رجوع رأس المال اي ان الدينار الواحد صار خمسة دنانير . وكان معظم الارباح للملك البرتقال طبعاً . لذلك نزلت اسعار الفلفل في بلاد البرتقال من ٤٠ بندقياً الى ٢٠ فقط باعتبار القنطار الواحد مع ان ثمنهُ في محل استيرادهِ لم يزد على دينارين ونصف الى ثلاثة فقط

وقبل ان تصل هذه الرسالة الى لشبونة كان ملك البرتقال قد بعث في ابريل سنة ١٥٠٣ (ذي القعدة ٩٠٨ هـ) تجريدة بحرية اخرى مؤلفة من تسع سفائن كل ثلاث تحت امرة رئيس مستقل واشهر هؤلاء الرؤساء الثلاثة الذي يعنينا الكلام عليهِ هو صاحبنا ألفونسو ألبوكرك (Albuquerque) فانهُ بمجرد وصولهِ الى الهند رأى السامري صاحب كاليكوت قد اغتنم فرصة غياب فاسكو دوجاما وخرّب مخازن البرتقاليين وطرد ملك كشي (Cochin) الذي كان موالياً للبرتقاليين ومساعداً لهم ضد وطنهِ وقومهِ فاضطر هذا الملك الى الالتجاء الى جزيرة في البحر امام عاصمتهِ وآوى اليهِ من كان معهُ من ابناء البرتقال . فتربّث ألبوكرك حتى انضمت اليهِ كل السفن البرتقالية التي سافرت معهُ والتي كانت سبقتهُ الى بحر الهند وسفنهُ التي كانت تائهة عن العمارة التي رسات مع فاسكو وحينئذٍ انبرى لمقاتلة السامري حتى تقرر الصلح بينهما على غرامة يدفعها السامري قدرها ١٥٠٠ بهار

من الفلفل (والبهار عبارة عن ثلاثة قناطير او اربعة) ثم اعاد بناء المخازن ورجع ملك كشي الى كرسيه وتعهد السامري لهُ بان يمنع مراكب مكة من اخذ البضاعة من بلادهِ .

« ثم لتابع في كل سنة على هذا المنوال وصول مراكبهم العديدة من برتكال بالرجال والاموال وسفر مراكبهم الكبيرة من ملبار بالفلفل والزنجبيل وسائر البضائع الى برتكال »

رأى سفار ملوك الهند ذلك السيل المتدفق على بلادهم بل ذلك القضاء المبرم الواقع على رؤوسهم وعلموا ان لا طاقة لهم بدفع غوائل البرتقال عنهم . فلم يكن لهم مندوحة عن الاستكانة لهم والخضوع لكلمتهم فدخلوا في صلحهم وما لبثوا ان صاروا من جملة الخول والخدم . وكان في مقدمة المنقادين لامرهم اهل كشي وكنور ومن تبعهم فكانوا يشتغلون بالتجارة تحت سيطرتهم و يسافرون « في البحر مصاطين لهم آخذين اوراقهم معهم لكل مركب علامة لامانتهم »(١) وفرض البرتقاليون على كل جواز من هذه التذاكر مالاً معيناً يدفعهُ أصحاب المركب لزعمائهم اي سلاطين الهند الذين يخضع لهم المسافرون حتى يكون هؤلاء الملوك الوطنيون عوناً للبرتقاليين على احتكار تجارة الهند . فكان الاسطول البرتقالي الضارب في بحار الهند إذا عثر بمركب « ليس فيهِ ورقتهم اخذوا المركب وما فيهِ ومن فيهِ »(٢) وذلك كلهُ بقصد تحريم السفر الى البحر الاحمر بتاتاً ومنع الفلفل والبهارات من الوصول الى مصر حتى لا يكون لهذه الاصناف سوق في اوربة خلاف التي في لشبونة . وعاد هذا التدبير بالضرر الاكبر على تجارة كاليكوت لان سلطانها السامري كان لا يزال معانداً للبرتقال والحرب بينهُ وبينهم سجال . هذا ما كان من امر البرتقال لغاية سنة ١٥٠٣م (سنة ٩٠٩ هـ) فقط

وقبل ان انتقل الى ما كان من شأن مصر وصديقتها وعميلتها (جمهورية البندقة) ينبغي لي لتقرير الحقيقة التي اصبحت في ذلك العهد امراً مقضياً وهي ان عمانوئيل السعيد كان الله قد اتاح لهُ كل ما يطمح اليهِ من النجاح وخدمهُ الحظ في تحقيق احلامهِ . وهو والحق يقال قد ثبت في مشروعهِ ثباتاً خليقاً بالمدح والاعجاب ولاسيما فيما حاولهُ من احتكار تجارة الهند لمنفعتهِ الشخصية ولمصلحة بلادهِ . فلم يثنهِ عن الغرض الذي وضعهُ نصب عينهِ منذ جلوسهِ على العرش ما تجشمهُ من الصعوبات والاخطار الملازمة لهذا السفر الطويل الشاق وما ترتب عليهِ من ضياع السفن الكثيرة والارواح العديدة الى ان استقرت لهُ في سنة ١٥٠٣ (سنة ٩٠٩ هـ) المذكورة السيطرة التجارية في تلك الاقطار والسيادة على ما يكتنفها من البحار .

فلا جرم ان اصبحت لشبونة وهي القابضة على زمام التجارة الهندية تصرفها على ما تريد

(١) كلام زين الدين وداڤيد لوبز David Lopez (٢) كلام زين الدين وداڤيد لوبز

وتشتهي في اوربة الغربية بل ترسل قسمًا منها كما تشاء وتبغي الى بعض جهات اوربة الشرقية نفسها وما ذلك الاَّ لمبالغة في الشكاية بالفوري وعملائه البندقة .

ولا جرم ان كان ذلك سببًا وثيقًا في بوار تجارة مصر والبندقية !

***

رأى أهل فلورنسة وجنوة نجاح البرتغاليين في تجريدتهم الاولى وتحققوا ان وساطة مصر لوشكت على الزوال وحينئذٍ تهافتوا على شبونة قاسموا فيها محال تجارية بل ان اهل فلورنسة جهزوا على حسابهم الخاص بعض السفن التي رافقت تجريدات البرتغاليين التي توالى سيرها بعد التجريدة الاولى الى بلاد الهند وكان ذلك اول انحراف انحرفهُ الاوربيون المتربصون على شواطئ البحر الابيض المتوسط عن مصر ووساطتها والدنيا لمن غلب .

في شهر اغسطس سنة ١٤٩٩ (محرم سنة ٩٠٥ هـ) وصل الى البندقية بلاغ عن القاهرة والاسكندرية بما حدث من نزول البرتغال على كاليكوت ولكن الخبر كان مطلقًا محققًا بحيث لا يوجب الانزعاج لان تجار مصر كانوا يخشون انحراف عملائهم البندقة عنهم وفي ذلك خسارة كبيرة عليهم ولكن الجمهورية تحققت من سفيرها في لشبونة نجاح البرتغال في كل ما حاولوهُ من احتكار التجارة في اقطار الهند بل قال الملك لهذا السفير (٢٤ يونيو سنة ١٥٠١ - ٦٦ ذي القعدة سنة ٩٠٦ هـ) وقد أراهُ هذا النجاح بعيني رأسهِ هذا قل لاساطين الجمهورية واراكنة البندقية ان لا حاجة لهم بعد الآن الى ارسال سفائنهم واغرتهم الى المياه المصرية لاستحضار البهارات والابازير بل هم عما قليل لن يجدوا في اسواق تلك السلطنة شيئًا منها وليس لهم سوى ان يفدوا على بلادنا فتخص تجارهم بالحفاوة والكرامة بحيث يكونون كأنهم بين اهليهم وفي اوطانهم » .

نزلت هذه الاخبار كالصاعقة الساحقة الماحقة على جمهورية البندقة إذ كان اساس سيطرتها واركان ثروتها قائمة على تجارتها مع المشارقة . فلو ان هذه التجارة انتقلت الى يد البرتغال لسقطت مدينة البندقية ستوطنًا لا قيام لها بعدهُ . لان البرتغاليين يشترون الفلفل وغيرهُ من الابازير والبهارات من منابتها بالهند . يذهبون بها تواً ومباشرة الى بلادهم دون ان يعترضهم في طريقهم ديوان (كمرك) يتقاضى شيئًا من الرسوم التي يجب اضافتها على الثمن بخلاف البندقة فانهم انما كانوا يحصلون على هذه الاصناف من عملائهم المصريين وهم لا يجلبونها من مواطنها الاَّ بعد مرورها على يد طائفة عديدة من الوسطاء والسماسرة في جدة وعدن فضلاً عن رسوم الديوان (الكمرك) دخولاً وخروجًا في هاتين المدينتين ثم

في القاهرة والاسكندرية وبيروت الى ما وراء ذلك من النفقات غير الرسمية او غير الشرعية من محاسلة ومجاراة ومحاباة ومداراة مما يزيد الثمن اضعافاً مضاعفة[1] بهذه الوسيلة كان يستحيل على البنادقة مناظرة مزاحميهم في اسواق اوربة . فلم يكن لهم مندوحة عن اختيار احد امرين : اما الاستكانة والتسليم ونفض ايديهم من هذه التجارة وفي ذلك القضاء المبرم على سيطرتهم وثروتهم — واما المكافحة والمقاومة والعمل على فشل البرتقاليين وفي ذلك استبقاء لمكانتهم ومحافظة على ثروتهم . ولقد اختاروا الشق الثاني فوجهوا وجههم شطر صاحب مصر السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري لاعتقادهم بانهُ لا يحجم عن بذل كل مرتخص وغال في الاحتفاظ باحتكار تجارة الهند التي هي منبع ثروته الشخصية ودعامة الرخاء واليسار في بلادهِ . صحت عزيمة الجمهورية على تلافي الخطب قبل استفحاله فارسلت بندتو سانوتو (Benedetto Sanuto) سفيراً الى القاهرة في اواخر خريف سنة ١٥٠٢ م (سنة ٩٠٨ هـ) وكان عليماً باحوال السلطنة المصرية إذ كان قنصلاً للجمهورية في دمشق من سنة ١٤٩٦ الى سنة ١٥٠٠ م (٩٠٢ — ٩٠٦ هـ) وفي كل تلك المدة اثبت كفاءتهُ واقتدارهُ في خدمة مصالح بلادهِ . وكانت مأموريته السرية ان يوقف سلطان مصر بالجملة والتفصيل على الاخطار المحدقة بهِ وبثروة بلادهِ من جراء اعمال البرتقال في بلاد الهند . ولقد بعثت الجمهورية اليهِ وهو بالقاهرة في يوم ٤ ديسمبر (٣ جمادى الثانية) من السنة المذكورة بلاغاً يتضمن آخر ما وصل اليهِ البرتقال في بلاد الهند وهو مما يوجب مزيد الخوف على مستقبل مصر والبندقية معاً . وكان من ضمن التعليمات المرسلة اليهِ ان يعرض على مسامع السلطان : ما هو حاصل عليهِ هو وبلادهُ من المكاسب الناجمة عن تجارة الابازير والبهارات وان هذه التجارة اذا تحولت الى طريق البرتقال فذلك يعود عليهِ وعلى بلادهِ بالعواقب الوخيمة وان الملك البرتقال قد دعا ملك الانكليز وسائر الامم النصرانية الى الشيوعة لاخذ كل ما يجلبون اليهِ من الفلفل والابازير بثمن بخس ورخيص وان كثيراً من سفائن اوربة مزمعة على الاقلاع الى عاصمة البرتقال لاجابة هذا النداء وان البنادقة انفسهم (وان كان يشق عليهم ان يقطعوا علاقاتهم الودية القديمة مع مصر) فانهم قد يضطرون في آخر الامر الى الانقطاع عن التردد على الاسكندرية ودمياط وبيروت وانهُ ليس لهذه النازلة من دواء سوى السعي في اقفال ثغور الهند في وجه البرتقاليين حتى

(١) كانت رسوم الجمرك المقررة حينئذٍ باعتبار ٣ في المائة يضاف اليها من اللواحق ما يعادلها كما نص عليهِ القلقشندي

يضطر اسطولهم للرجوع بصابورته اي من غير شحن شيء من البهارات والابازير فان هذا الامر لم تكرر مرتين اثنتين فقط فمن يرجع القوم الى الهند مرة ثالثة على الاطلاق ولذلك لأجل الوصول الى هذ الغرض يجب المبادرة بارسال سفراء من المصريين الى الهند لافهام ملوكها باسم سلطان مصر وجوب الاقلاع عن المداخلة والمعاملة مع البرتقاليين وقطع العلاقات معهم وافهامهم ان الضرر كل الضرر يعود عليهم انفسهم اذا هم آثروا هؤلاء الدخلاء على المصريين والعرب لان البرتقاليين لا يشترون منهم سوى الفلفل والابازير بخلاف المصريين والعرب فانهم يشترون منهم جميع مصنوعاتهم ومحصولاتهم ولذلك كانت معاملة الهنود معها اكثر فائدة واوفر نفعاً من الاقتصار على بيع الابازير والبهارات

ادى السفير هذه المأمورية كما ينبغي وقام بمهمته خير قيام ثم اقترح على السلطان انزال الاسعار لدرجة معقولة بحيث يتسنى للبنادقة ان يغلبوا على البرتقاليين ويسدوا المنافس والمنافذ في وجوههم فيقتطعوا تجارتهم و يسترجعوا اسواق اوربة كلها لمصلحة البندقية ومصر

وفي اثناء ذلك وصل الى السلطان الغوري صريخ من الهند واليمن فقد استغاث به التجار المصريون الذين اغرق الاميرال كابرال سفائنهم امام كاليكوت - واستنجد به السامري صاحب كاليكوت وكان للبرتقال خصماً عنيداً وعدواً لدوداً لا ينفك عن مقارعتهم والتنكيل بمن يواليهم من ملوك الهند وصرف في ذلك اموالاً كثيرة حتى ضعف هو ورعاياه ومن والاه - وارسل سلطان نجرات السلطان ناصر الدين ابو الفتح مظفر شاه خليل بن محمود شاه بن محمد شاه بن احمد شاه بن محمد شاه بن مظفر شاه يستمدي الغوري على البرتقال لتعديهم على بلاده ويطلب منهُ العدد والآلات والمدافع لدفع ضررهم عن المسلمين - ومن استجار بالغوري وطلب منهُ انجدهُ على الافرنج السلطان عامر بن عبد الوهاب صاحب اليمن لكثرة ضررهم في بحر اليمن وبنادره وتواتر اذاهم وضعف جنود المسلمين بتلك الديار عن مقاومتهم لعدم معرفتهم بحرب البحار واستعمال المدافع

بهذه المثابة اجتمعت المنفعة التجارية المالية والمصلحة السياسية الدينية - فتحرك السلطان الغوري لهذين العاملين القويين وامر بانشاء اربعة اغربة حربية في دار الصنعة (ترسانة) بالقاهرة ثم حملها على ظهر الجمال وهي مفككة قطعاً قطعاً حتى وصلت الى ثغر السويس ومن هناك تولى العمال الاختصاصيون تركيبها وانزالها في البحر - قصد السلطان بارسالها الى بلاد الهند ان تكون كنموذج للسفائن الحربية المصرية في شكل طليعة للاسطول السلطاني الذي سيباشر القتال مع البرتقال

وصل هذا الخبر الى جمهورية البنادقة عن لسان دومينيكو كابللو Domenico Capello

تفصيلها في القاهرة في جملة ما وافاها به من الاخبار والماجريات ضمن مسطورهِ المؤرخ في ٢٤ نوفمبر سنة ١٥٠٩ (١٠ شعبان سنة ٩٠٥ هـ) ولم يقف سلطان مصر عند هذا الحد من الابتداء في دفع البرتقال بل لجأ ايضاً الى الطرق السياسية فكلّف الراهب الاسباني موروس (Maurus) حارس دير جبل صهيون بمدينة القدس وهو من طغمة الفرنسيسكانيين بان يذهب الى اوربة في السفارة عنهُ لدى البندقية فالبابا فملك اسبانيا فملك البرتقال

كان وصول هذا السفير الى البندقية في يوم ٥ مارس سنة ١٥٠٤ (١٧ رمضان سنة ٩٠٩) وسلم جمهوريتها كتاباً لطيفاً من السلطان يقول فيهِ انهُ كثير العناية شديد الاهتمام باستمرار العلاقات التجارية بين بلادهِ وبين الجمهورية ويرجوها فيهِ ان تشدد أزر سفيرهِ الراهب بتوصية ملوك اوربة عليهِ . لكن الجمهورية امتنعت عن ذلك لاسباب كثيرة أخصها انها كانت تميل الى اجتناب كل ما يشتم منهُ انها هي التي حرّضت سلطان مصر على هذه المأمورية ولتخوفها من ان مساعيها ربما تأتي بعكس المطلوب وثالثاً لانها كانت مصافية لاسبانيا والبرتقال فكان من واجبها عدم الاحتكاك بهما مواجهة . فلذلك قررت الوقوف على الحياد المشرب بالميل لمصر وسلطانها . فانطلق السفير المصري الى رومية في ربيع سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م) وقدم للحبر الاعظم شكوى سلطان مصر من فرديننذ الكاثوليكي ملك اسبانيا ومن عمانويل السعيد ملك البرتقال لان الاول تجاوز كل حد في اضطهاد المسلمين بغرناطة ولان الثاني لا يزال يواصل مساعيهُ في الهند اضراراً بمصالح السلطان وان هذا وذاك ربما يجران السلطان الى الاقدام على مالا يريد من الانتقام إما بهدم الاماكن التي تعظمها النصرانية في القدس الشريف وهي القبر المقدس (كنيسة القيامة) ودير جبل صهيون وأشباهها وإما بطرد جميع النصارى من ممالكهِ . هذا الخطاب السلطاني للكرسي البابوي مؤرخ في ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٠٣ (آخر ربيع الاول سنة ٩٠٩ هـ) وقد ضاع اصلهُ العربي في جملة ما ابادهُ الحدثان من كنوز مصر العلمية التاريخية واوراقها ومستنداتها الرسمية ولكن احد مؤرخي البرتقال وهو جويس (Goes) قد حفظ لنا ترجمتهُ الكاملة باللغة البرتقالية في التأليف الذي كتبهُ عن حياة الملك عمانويل (Chronica do Rey Emanuel) وبناء على إلحاح السفير المصري كتب البابا يوليوس الثاني الى عمانويل يحضهُ على العدول عن مشروعاتهِ في الهند ولكنهُ لم يرضَ بالرد على سلطان مصر قبل ان يسمع اقوال المتكين المتهمين . وحينئذٍ خرج موروس من رومية في سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ هـ) الى اسبانيا والبرتقال ولكنهُ فشل في الاولى ولم ينجح في الثانية بل ان ملك البرتقال جاوب البابا

بكتابه المؤرخ ١٢ يونيو سنة ١٥٠٥ (سنة ٩١١ هـ) يلتمس من جانب قدسه ان لا يعير تهديدات السلطان ادنى التفات لان الايرادات العظيمة التي ينالها الفوري من حجاج الاماكن المقدسة تحول بينهُ وبين ما يتظاهر بهِ من قصد هدمها وقال عمانويل انهُ لا يعبأ قط بهذا الوعيد الفارغ

وفي اثناء ذلك كانت جمهورية البندقة قد ارسلت سفيراً آخر الى القاهرة وهو برناردينو جوفا (Bernardino Giova) ولقد استقبلهُ السلطان الغوري في قلعة الجبل في يوم ٢٤ مايو سنة ١٥٠٤ (٩ ذي الحجة سنة ٩٠٩ هـ) فلاحظهُ عملاً بان البرتغاليين لا يزالون يعيثون بأساطيلهم التجارية الى الهند دون ان يكون في وسع البندقية الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون وان الايازير تنهال على التوابل باسعار ارخص كثيراً مما هي في سوق دمياط والاسكندرية وان البرتغاليين يبيعونها لهذا السبب باثمان منحطة في انكلترا وفرنسا وفلندره وايطاليا وسائر بلاد اوربة بان ان كثيراً من التجار البندقة عولوا على معاملة التوابل حيث الرسوم الكمركية معدومة وانهُ مع ذلك كلهِ فلا تزال الجمهورية مبالغة للتمسك بعلاقاتها القديمة مع مصر ولذلك فامله وطيد في ان السلطان ينجح في اعادة المياه الى مجاريها بارجاع التيار التجاري الى وجهتهِ الاولى وانها للوصول الى هذه النتيجة تسمح لنفسها بان تسمح الاذن من السلطان بان يفعل ما تشير بهِ عليهِ وهو: اولاً — استحضار اكثر ما يمكنهُ من الايازير والقذف بها في اسواق اوربة لمزاحمة التجارة البرتغالية وتبويرها. ثانياً — المبادرة الى ارسال وكلاء سياسيين الى كشي (Cochin) وكنور (Cananore) لتفهيم ملكيها ان مصلحتهما الحالية ومصلحة بلادهما المستقلة تقضي عليهما بقطع ما بينهما وبين البرتغال من علاقات الود والولاء التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب حتى اذا ما ادركا الشراك التي نصبها لهما البرتغاليون ثاب اليهما الرشد وحفظا لانفسهما الملك الموروث لهما وابقياه لاعقابهما والاَّ فالعاقبة وخيمة عليهما إذ لا بد للبرتغاليين من الاستيلاء على بلادهما في يوم قريب او بعيد وثالثاً ارسال السفراء الى السامري سلطان كاليكوت والى سلطان كنباية (Cambaye) لتعضيدهما فيما اخذا بهِ من مدافعة البرتغاليين عن بلادهما. نعم ان السلطان أحسن كل الاحسان في ارسال بعض الشوانى الحربية الى تلك المياه ولكنهُ يحسن بهِ ان يرسل غيرها ايضاً ليستبقي هيبتهُ وسطوتهُ وليصون تجارتهُ وثروتهُ

« ستأتي البقية »

احمد زكي باشا
سكرتير مجلس الوزراء

علاج الدفثيريا والسل

للدكتور بيرنغ

نعيد الى قرائنا في احد اجزاء المقتطف الاخيرة البروفسور فون بيرنغ البكتريولوجي الالماني الشهير مكتشف طريقة علاج الدفثيريا بالمصل . وقد رأينا ان نقص في هذه العجالة كيفية اهتدائه الى هذا الاكتشاف الخطير الشأن فنقول :

لاحظ علماء البكتريولوجيا (علم المكروبات) منذ زمان طويل ان الجرذان البيض لا تصاب بالجمرة عادة في حين ان الجرذان السود تصاب بها فدهشوا لذلك وحاروا في سببه . فجرّب بيرنغ التجربة الآتية وذلك انهُ اخذ شيئاً من مصل دم جرذ ابيض ووضع فيهِ بعض مكروبات الجمرة فماتت بعد اقامتها فيهِ بمدة وجيزة . فكان هذا الاكتشاف واكتشاف البروفسور « نطل » ان لمصل الانسان وبعض الحيوانات الاخرى خواص مصل الجرذ — اساس المعالجة بالمصل

وفي سنة ١٨٨٨ ذهب بيرنغ الى برلين فعيّن مساعداً لكوخ في معهد الهجين حيث تعرف بالدكتورين لفلر وكتساتو الياباني وكانا قد اكتشفا حديثاً مكروبي الدفثيريا والتتنوس وظهر لهما ان سبب هذين المرضين تكاثر مكروباتهما في محل الاصابة من غير ان تنتشر في الجسم فكان هذا الاكتشاف خطوة كبيرة في تعليل الامراض الخبيرية وذلّ على ان المكروبات تفرز سموماً قابلة الذوبان يمتصُّها الجسم فتؤثر في خلايا الجهاز العصبي وغيره من الاعضاء الرئيسة

وفي تلك السنة عينها اثبت الدكتوران رو ويرسن بالتجارب صحة هذا التعليل . فانهما ربّيا مكروبات الدفثيريا في المرق ثم رشحاها بآنية فخّارية غير مدهونة وحقنا بعض الحيوانات بالمرق فظهرت عليها اعراض الدفثيريا مخففة واطلق على هذا السم اسم التكسين

وكان بيرنغ قد تابع مباحثهُ وتجاربهُ الاولى فربّى بعض انواع المكروبات وحقن بها بعض الحيوانات بمقادير صغيرة فاكتسبت مناعة حتى لم تعد الحقن الكبيرة تؤثر فيها تأثيراً ذا خطر على حياتها . واثبت في اثنايب الاختبار ان مصل هذه الحيوان اكتسب خاصة اماتة تلك المكروبات

وفي سنة ١٨٩٠ أعلن بيرنغ وكتساتو معاً مبدأ المناعة ضد التكسين اي ان الحيوان يقي من الدفثيريا والتتنوس بحقنهِ حقناً صغيرة متدرّجة بمكروباتهما المقتولة بعدما تكتسب

في المرق . فان الحقن بها يولد في دم الحيوان مواد تبطل فعل تكسين الميكروبات . وابانا ايضاً ان الحيوان الذي حقن بمصل حيوانات حصلت على المناعة بهذه الطريقة يحتمل حقنة من هذه الميكروبات او التكسين تكون قتالة لولا الحقن بالمصل . وانهُ اذا ظهر على الحيوان اعراض الدفتيريا او التتنوس فقد يشفى اذا حقن بالمصل . وسمينا المادة الموجودة في مصل حيوان حصل على المناعة « ضد التكسين » . وقد بنى بيرنغ وبار على هذا الاساس وجربا المصل في الاولاد فكانت النتيجة حسنة

ورأى الدكتور ميل رو الفرنسوي مدير معهد باستور الحالي عظم شأن هذا الاكتشاف فتوصل هو والدكتور لويس مارتن الى ابتداع طريقة لاستعماله ولا تزال طريقتهما هي المتبعة الى الآن في جوهرها مع اختلاف قليل في التفاصيل العرضية . اما طريقتهما فهي انهما حقنا بعض الخيل حتى حصلت على المناعة فامكن بذلك استخراج مقادير كبيرة من مصلها وجربا هذا المصل هما وغيرهما من الاطباء في مستشفيات باريس فلم تأت سنة ١٨٩٤ حتى كانت معالجة الدفتيريا بالمصل قد قامت على اساس مكين

وقد حصر بيرنغ جهدهُ في الاثنتي عشرة سنة الماضية في وقاية الانسان والحيوانات من السل بتوليد المناعة فيهِ وفيها . شرع في العمل ونصب عينيهِ ثلاث قضايا . الاولى ان ميكروبات التدرن او السل في الانسان والبقر هي تنوعات لنوع واحد . والثانية ان الانسان والحيوان يعديان كلاهما في طفولتهما بطريق الفم فيظهر السل فيهما بعد ذلك . والثالثة انهُ قل ان يسلم احد من الناس او البقر من هذه العدوى قبل البلوغ . اما القضية الاولى والثانية فلم يجمع العلماء على التسليم بهما ولاسيما انهُ لم تقم بينة ثابتة على صحتهما سوى قول بيرنغ انهما صحيحتان . على اننا لو سلمنا بصحتهما جدلاً لنزم عن ذلك ان المناعة الواقية لا تكون فعالة الاَّ اذا عمد اليها في اوائل العمر . وقد حاول بيرنغ بالتجارب إكساب البقر هذه المناعة بتلقيحها بميكروبات التدرن الانساني بعد كسر حدتها فلم تأت تجربتهُ طبق ما كان ينتظر منها

ولما كانت معالجة الاطفال بميكروبات التدرن الحية متعذرة حاول بيرنغ تحضير خلاصة من الميكروبات المقتولة تفي بالحاجة . فحضر خلاصة سماها « تولاز » وقال انها تكسب الحيوانات مناعة من ميكروبات التدرن الحيَّة وتؤثر تأثيراً فعالاً في علاج سل الانسان . ولم تعرف ماهية هذا التولاز تماماً وكل ما عرف عنهُ انهُ نتيجة فعل الكلورال هيدرات بميكروبات التدرن وانهُ غير التوبركولين . ولكن مرت بضع سنوات على اكتشاف التولاز ولم تظهر لهُ نتيجة شافية فاستنتج انهُ لم يفِ بالمرام

وقضى بينهم نحو عشرين سنة استاذاً للهيجين في جامعة مار برج ومديراً لمعهد الهيجين اي منذ سنة ١٨٩٥ الى قبيل موته . وجوزي على اكتشاف مضاد التكسين سنة ١٨٩٥ بجائزة اكاديمي الطب الفرنسوية والانستيتو الفرانسوي . واغدقت عليه الجمعيات العلمية نياشينها والقابها . وفي سنة ١٩٠١ احاز جائزة نوبل

بغداد امس واليوم

من شاء ان يعرف شعور البغداديين بما اصابهم بالامس وما اتيح لهم الآن فليقرأ الكتاب التالي وقد نشرتهُ احدى الصحف في ٢٥ سبتمبر الماضي فانهُ مطابق لما كتب بهِ الينا غير واحد من فضلاء بغداد وادبائها . قال صاحب الكتاب المشار اليهِ :

هربت من السجن بعد إقامتي فيهِ اياماً كثيرة واختفيت في بعض الدور وقلبي كلهُ اسى لما حل ببغداد وابناء بغداد

غادرتها وتار الجور تضطرم في جوانبها تشبُّها الايدي الاثيمة بقتلهم المجرم والبرىء والصغير والكبير والشريف والوضيع

نفوس تزهق ودور تهدم واموال تنهب واعراض وحرمات تباح قد اناخ الظلم عليها بكلكلهِ وخبطها بأيديهِ وارجلهِ فلا اسواق ولا منتزهات ولا مجالس ولا مجتمعات . زفرات تتردد وحسرات تتصعد على حين اعوز الملجأ وفقد المغيث وعدم الناصر وتفاقم الخطب وعظم الكرب فلا تسمع من الكلام الاَّ الهمس ولا تنظر في الشوارع الا الرجس

أرى النخيل الباسقة والسرو يميلها يميناً وشمالاً فاخالها أرامل اولئك الشهداء قد نثرن شعورهن في مأتم يندبن فيهِ جدودهن العاثرات وحرماتهن المنتهكات او كأنها تماثيل مجد نصبتها الآباء فهي تنوح لما حلَّ بالابناء . كان يشوقني جدًّا زهر الرمان القاني ولكنهُ صار يمثل لعيني دماء اولئك الابرياء الطاهرة فيغلبني البكاء . وكثيراً ما كنت ارتاح الى خرير ماء دجلة فأجلس اليهِ عند المصائب لاخفف بعض ما في النفس من الآلام ولكني في هذه المصيبة صرت اهرب منهُ لاني احسبهُ انين اليتامى تحت جنح الظلام او انهُ يئن جزعاً وحزناً على مجد العرب الدائر وشرفهم المضاع :

ايا شجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريف

كيف انام وهل ينام السليم والقوم مسرعون في طلب هذا (الخائن) لم اكن وشرف

عدنان في تلك الساعات المرّة مهتمٌّ بحياتي اكثر مما كنت مهتمًّا بحال اخواني الآخرين. تهمل دموعي فتنصبُّ على خدَيَّ فابكي طويلاً ثم ارجع الى نفسي واطمعها بالفوز واعلها بالنجاح وارسم لها في مخيلتي خطة الفلاح فتطمئن وتبرق لها بارقة الرجاء فتستريح. مسكين «خيري» ضعيف الجسم يتمثلهُ الحزن ويستلمهُ الفكر فينام قليلاً في بعض الاحيان. كنت في غرفة تطلُّ على الطريق بعد ان قضيت شطراً من الليل في مجمعان الهموم وسعترك الاحزان انازل الاهوال واباري الكروب العظام

اهتزاز في الغرفة شديد وجلبة وضوضاء ووقع اقدام كثيرة في الطريق. انتبهت مذعوراً وارسلت نوّاً نظري نحو الطريق وبازغم من شدّة الريح وتكاثف الظلام رأيت ثلة من الجند التركي قد اجتازت الدار يتخلف عنها اثنان يتهامسان يقول احدهما لصاحبه: قد أُخليت المدينة وفي هذه الساعة يبرح قائد الشرطة والحرك بغداد. قال لهُ ذلك ومضيا يهرولان خلف رفاقهما

بقيت كالخشبة المسندة لا اعتراني من السرور لا ادري هل ما سمعتهُ في يقظة ام في منام. وضح الامر ولم يبقَ مجال للشك اذ كنت اسمع انفلاق الديناميت في بعض مباني الحكومة وأرى لهيب النار المضطرمة التي شبّها الظالمون في بعض الدور تشفياً وانتقاماً من اصحابها

وما حال الديار يهيج حزني ولكن حال من سكن الديارا

نهضت فصعدت السلّم الى الطابق الاعلى تخيل لي ان السنة النار التي كنت اراها مرتفعة في الفضاء ألسنة اولئك الشهداء المظلومين تدعو على الظالمين بالويل والدمار

علمت ان الامر قد تم فهلت وكبرت ونزلت الى غرفتي انظر الى المارّة وهم لفيف من الصعاليك طفقوا ينهبون الاسواق والمخازن فنبهت الخادم واوعزت اليه ان يسرج لي المصباح لاعلل نفسي بقراءة شيء من الكتب والجرائد ريثما يلوح الفجر. بزق الفجر فنهضت مسرعاً وفتحت الباب وخرجت من الدار ايمم الشارع الكبير فكنت ارى الناس زرافات ووحداناً يمشون في الطرقات تلوح على وجوههم علامات البشر والسرور فتابعت السير حتى وصلت دور الحكومة فوجدت فيها طائفة من الصعاليك يتقاسمون اسرتها وكراسيها وما فيها من المفروشات وغيرها ورأيت كثيراً من البنادق الالمانية والتركية بيد الاطفال والصبيان وصادفت في طريقي كثيراً من ابناء السجون فحيّاتهم بالسلامة ومضيت في شارع الفشلاق العسكري انظر الى الدور المنهدمة والحرائق المضطرمة وما تركهُ الظالمون من آثار الخزي والعار وأنا انشد قول جرير في النرزدق:

وكنتَ اذا حللت بدار قوم رحلت بغربة وتركتَ عارا

حتى انتهيت الى الجسر فوجدتهُ قد أُحرق وأُغرق فعبرت دجلة الى الجانب الغربي في زورق صغير الى داري حيث كانت امي الحزينة واولادي الصغار وزوجتي المسكينة في اشدّ الانتظار. رأوني ولكن لا استطيع ان اصف ما اعتراهم واعتراني من السرور حينما رأيتهم ورأوني. تجد امي قد تعلقت برقبتي لقبلني والصغار يصيحون ويهتفون بامي وزوجتي لا تستطيع ان تبدي حراكاً. مضت عدة دقائق ونحن في تلك الحال والدموع تفيض على الخدود سروراً وفرحاً. جلست بينهم هنيهة ثم خرجت من الدار اليم « المسعودي » لاني سمعت ان احد جنرالات القائد مود صار قريباً من البلد فما كدت اصل رأس البلد من طريق باب الحلة حتى رأيت الجنرال قادماً وخلفهُ شباب الجند اصحاب السواعد المفتولة والعضلات القوية من ابناء بريطانيا وابناء الهند تلوح عليهم سيماء الشجاعة والبسالة وتبدو على اسرة وجوههم علائم النصر والظفر يقابلون الاهلين بوجوه مستبشرة وثغور باسمة يهشون بوجه هذا ويبشون بوجه ذاك وعليهم ابهة الرزانة والجلالة وشعار البأس والقوة فقابلهم الاهلون بالهتاف الشديد والسرور العظيم كانهم ملائكة انزلوا من السماء لانقاذهم من ايدي القادرين الظالمين

قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا دخلت جيوش الحكومة البريطانية جيوش العدل والانصاف جيوش الحضارة والعمران ووات جيوش الظلم والاستبداد جيوش البسجية والبربرية جيوش الباطل والكذب واستبدل النحس بالسعد والخمول بالمجد والظلام بالنور والحزن بالسرور

وصل الجنرال رأس الجسر الغربي حيث التفّ حولهُ لفيف من الاهلين فنادى منادية من كان خائفاً فهو آمن ومن كان اسيراً فهو حرّ ومن كان بيده سلاح فليلقهِ وليذهب كلّ الى عملهِ فتفرّق الناس وذهبوا الى اعمالهم بهمة ونشاط يرددون الحمد والشكر لبارئ السموات اذ نجاهم من المذلة ووقاهم شرّ المحنة وصرف عنهم العذاب ولم تمضِ ثلاثة ايام حتى لم يبقَ في بغداد شيء من السلاح الاّ وسلم الى الحكومة للعسكرية عن طيب نفس وانشراح صدر

وارخصَ في الارض السلاح بعدلهِ فليس يساوي الصارم العضبُ درهما

وفي اليوم الثالث دعا الحاكم العسكري موظفي البلدية واقرّهم على وظائفهم وامرهم بتنظيف البلد وتطهيره وبالجد والاجتهاد في كل ما يؤول الى راحة الاهلين. ثم دعا

الاشراف والوجهاء اليهِ ووجه انظارهم الى عمران بلدهم وما يحتاجهُ من مساعداتهم وما توجبهُ الوطنية عليهم من السعي والعمل في هذا السبيل واوعز اليهم ان ينتخبوا ثمانية منهم لعضوية المجلس البلدي فانتخبوا اربعة من المسلمين واثنين من المسيحيين ومثلهم من اليهود وهكذا انشئ المجلس وجرت امور البلدية على احسن ما يرام . تجد الكنس والرش صباح مساء في الازقة والاسواق وفرش الآجر لا يزال دائباً في الشوارع وترى موظفي البلدية ساعين بكل نشاط وراء اعمالهم لا يفترون طرفة عين . ولم تمضِ بضعة ايام حتى انشأت الحكومة جسرين صغيرين على دجلة في غاية الاتقان خصصت احدهما للاهلين والآخر للجيش ريثما يتم الجسر الكبير الذي يوشر بانشائهِ ثم اوعزت الحكومة الى ناظر المالية ان يرتب امور الاوقاف وادارتها وان يباشر بتعيين الموظفين الى الولاية وملحقاتها فاطاع ودعا الرؤساء الروحانيين واشراف البلد واسند اليهم انتخاب مدير للاوقاف قادر على ادارتها غيور على تعميرها ففعلوا واسفر الانتخاب عن تعيين العلامة الزاهد الورع السيد محمد سعيد الزهاوي مفتي بغداد السابق . ثم باشر الناظر بتعيين موظفي المالية في نفس الولاية وخارجها ففتش عن الرجال القادرين واسند اليهم الوظائف واوصاهم بالمعروف مع الاهلين وحذرهم من الظلم والطيش في الاعمال فذهب كلٌّ الى عملهِ وهو ممتلئ غيرة ونشاطاً . وهكذا قل عن دائرة البوليس ومديرها الشيط وتخابر ابناء الاشراف واسنادهِ الوظائف المهمة اليهم واشرافهِ بنفسهِ على الاعمال وسهرهِ الدائم على كل ما يجري في بغداد من الامور سعياً وراء الامن وانزاحة الهموم فاصبحت دار السلام في تلك المدة القصيرة وهي دار السلام حقيقة لا مجازاً بل اصبحت قرة عين الناظر ومسرح افكار الناظر والناثر بعد ما كانت وكنت واقفاً على دجلة أنشد فيها قبل ايام قليلة :

هلّ تصغي عليكِ بغداد أصبحـ ـتِ وما في حماكِ الاّ الخمولُ
فيكِ أضحى يا مهبط العلم للجهـ ـل مقرٌّ وللبلاء مقيلُ
ليت شعري بغداد تلك وهذي دجلة ذاك ماؤها السلسبيلُ
لم يضيّق فناءها ذلك الرعـ ـب ولم يعرِ رباعها التعطيلُ
فلماذا تغير القوم فيهـا وسرى في شعوبها التبديلُ

نعم ضرب الامن اطنابهُ في الزوراء في مدة وجيزة بفضل الساهرين عليهِ من أبناء بريطانيا الكرام ورجعت المياه الى مجاريها وفتحت الاسواق والمخازن وأظهرت دار السلام زينتها فكنت ترى حركة غريبة بعد ذلك السكون والجمود الطويل

أعمال كثيرة وارزاق وفيرة وسعي وحركة مدهشان في كل الاعمال لا نهب ولا سلب ولا قتل ولا ضرب بل حقوق مصانة وسعادة ونعيم . تجد الاهلين نساء ورجالاً شيباً وشباناً على اختلاف مللهم ونحلهم في الصباح والمساء يتطعون الشوارع ذهاباً وإياباً متجولين في ساحات وطنهم المحبوب فرحين مستبشرين كأنهم اخرجوا من السجن او كأنهم في يوم عيد بهيج . واي يوم ابهج او اسعد من يوم فيه أمن الخائف وفاز الآمل وحررت الرقاب وظهر الحق باجلى مظاهره وتحميه تلك القوة العظيمة قوة بريطانيا العادلة

ولا نبالي اذا ما كنت جارتنا ان لا يجاورنا إلاّكِ ديّارُ

وفي الايام الاولى من دخول البريطانيين نشر الجنرال مود القائد العام منشوراً أبان فيه رغبة بريطانيا وحلفائها في تحرير الامم المظلومة وانقاذها من ايدي الظلم والاستبداد ولاسيما الامة العربية ذات التاريخ المجيد وصرح لهم انهُ لم يدخل هذه البلاد الاّ بصفة محرر ومنقذ خدمة للانسانية وقياماً بواجب البشرية ودعا الاهلين الى ان يتكاتفوا مع الحكومة لادارة شؤونهم واوطانهم ووعدهم بكل خير ومنّاهم بكل فلاح . فقابل الاهلون منشور القائد العام بسرور عظيم وطفقت الوفود من رؤساء العرب وأشرافها تفد تباعاً على السر برسي كوكس الحاكم السياسي العام يهنئونهُ بالنصر ويعرضون عليهِ الطاعة ويقدمون لهُ آيات الشكر والثناء على ما قام بهِ الجيش البريطاني من الواجب في انقاذ البلاد والعباد من مخالب الظالمين فيقابلهم حضرتهُ بما جبل عليهِ من مكارم الاخلاق باللطف واللين والتبجيل والتكريم ليخرجون وكلهم ألسنة تلهج بالثناء على حضرتهِ والدعاء بتأييد حكومة بريطانيا محررة الامم والشعوب

كتبت هذه الاسطر وانا متجوّل في عشائر زبيد وقد قابلت جل رؤسائهم كما قابلت كثيراً غيرهم من الرؤساء فوجدتهم جميعاً في اعظم ما يكون من السرور يطفون آمالاً كباراً على حكومتهم الجديدة في اصلاح شؤونهم ويشكرونها شكراً جزيلاً على اهتمامها بامر العرب ولاسيما بامر جلالة الملك العربي الحسين بن علي وهم متشوقون لاخبار الحجاز وما يتعلق بهِ من الشؤون والاحوال كما انهم يتمنون في العاجل القريب تطهير الموصل وسوريا من ارجاس هولاكو وتيمور وانقاذ اخوانهم الباقين في تلك الاصقاع من مخالب أبناء جنكيز وما ذلك على حكومة بريطانيا بعزيز

جزيرة بغداد السيد خيري الهنداوي

مراعي المستقبل

ما زال الانسان منذ بدء اهتمامه بالعمران يطلب المراعي لما يربي من الماشية . وكانت هذه المراعي قريبة من مساكنه فلما تحولت هذه المساكن المنفردة قرى ومدناً بتقدم العمران وكثر طلب الارض للبناء ارتفع ثمن الارض فجعلت المراعي تتقلص عن مراكز العمران وتنتقل الى الارض الرخيصة الثمن التي يتعذر حرثها لسبب من الاسباب . اذ ليس من الاقتصاد في شيء ان الارض التي يخرج الفدان منها خمسة ارادب من القمح مثلاً تترك مراعي للماشية بل ان هذه الارض يجب زرعها حبوباً وبقولاً . فلذلك ترى المراعي تتحسر عن مراكز العمران في كل بلد آخذ باسباب العمران سواء كان قديم العهد به او حديثهُ

وربما سائل يسأل الى متى يدوم هذا الانحسار وعند اي حدٍّ يقف . فنقول في الجواب انهُ لا يدوم طويلاً . فمتى شرع النوع الانساني يخطو الخطوة التالية في سبيل التقدم ويحوّل همهُ عن الاشياء التي هي اعراض هذه الحياة الدنيا الى الناس الذين هم جوهرها . وعن اختراع المخترعات الكثيرة العجيبة الى اخراج شعوب قوية عجيبة فينئذٍ تبطل الحروب ويزداد الناس ازدياداً طبيعياً فيجعل الانسان همهُ الاول اجهاد الارض لتخرج غاية ما تستطيع من البقول وسائر المزروعات لطعامهِ ولباسهِ فتتضاءل المراعي على التوالي

علمتنا الجغرافية ان سطح الارض ربعهُ يابسة والثلاثة الارباع ماء . وهذا وحدهُ كافٍ للدلالة على ان لا غنى للانسان في مستقبل الزمان عن الاعتماد على البحر في استخراج طعامهِ . فاذا لم يبقَ لنا مراعٍ لغنمنا وبقرنا ارض نزرع فيها فلا مناص لنا من العدول عن تربيتها واذا لم تبقَ لنا ماشية لأكل لحمها فلا غنى لنا عن طلب اللحم من مصدر آخر هو الماء . وتاريخ الانسان الماضي تاريخ سفهٍ واسراف من حيث معاملتهُ للحيوانات التي يحتاج اليها في معاشهِ سواء كانت من الماشية او الطير او السمك

فلنأخذ مثلاً تاريخ معاملتهِ للحيتان اكبر الحيوانات التي دبّت على البرّ او سبحت في البحر . فقد ذكر صيد الحوت في القرن التاسع ولكنهُ لم يصبح حرفة قائمة بنفسها واسعة النطاق حتى القرن السادس عشر حينما كثر صيد الصيادين الفرنسويين والاسبان للحوت من بحار اوربا الغربية وجنوا منهُ الاموال الطائلة . ولم يأتِ القرن السابع عشر حتى بلغ

صيد الحوت من اعظم التجارات ربحاً وانتقل مركز هذه الصناعة من اوربا الى شمال اميركا بعد ما رأى هنري هدسن الاميركي في سياحته الاولى الى جرينلندا وجزر سبتزبرجن غير الآهلة ان البحار هناك تغصّ بالحيتان . فكان يصاد كل سنة منها الف حوت او اكثر . ودام الحال على هذا المنوال سنين كثيرة حتى قال كاتب ان صيد الحوت في تلك المدة كان اربح التجارات الطبيعية التي اشتغل الناس بها منذ اول عهدهم بالتجارة . وحتى قدروا ان صياداً واحداً باع من الحيتان في سنة واحدة بنحو عشرين الف جنيه

ثم عقب هذا المدّ جزر لم يكن منهُ بدٌّ بعد هذا الاسراف مصداقاً لحكاية المرأة التي كان لها دجاجة تبيض كل يوم بيضة ذهباً . فقالت في نفسها ان انا شققت بطنها استخرجت ما فيهِ من البيض جملة فاغنتني دفعة واحدة فلما فعلت ذلك لم تجد في بطنها شيئاً . فان الاقبال على صيد الحوت الغى الى عمران تلك الاصقاع النائية حتى قامت مدينة في سبتزبرجن تعدّ عشرين الف نسمة في مدة قصيرة كانها يوم وليلة . فلما انقطع الحوت وبارت تجارتهُ أقفرت تلك البيوت وامست خاوية ليس فيها ديّار

وكان للولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٤٦ اسطول من سفن صيد الحوت عددها يقرب من سبع مئة فقامت فيها تجارة قُدّر رأس مالها حينئذٍ بسبعين مليون دولار حتى نضبت الحيتان من الاتلانتيكي فدار الصيادون حول اميركا الجنوبية واندفعوا الى الباسيفيكي يصيدون حوتهُ . وقد قال بعض العارفين في كتاب كتبهُ عن الحيتان انهُ كان يمرّ بساحل كليفورنيا ٣٠ الف حوت او ٤٠ الفاً كل سنة من سني العقد الخامس من القرن التاسع عشر . وكانت هذه الحيتان ترى من الساحل وطول الواحد منها يبلغ ٤٠ قدماً او اكثر وكانت اناثها تقصد خلجان البحر الهادئة تحسبها آمنة لتلد صغارها فكان الصيادون ينقضون عليها وعلى نتاجها فيوردونها حتفها . وما برح هذا دأبهم حتى استأصلوا الاصل والفرع وحتى ليخول الصياد الآن على ظهر الاوقيانس الرفّ من الاميال لا يرى حوتاً فضلاً عن ان يصيدهُ

والحوت يصاد للدهن الذي يستخرج من جسمهِ والعظم الذي يستخرج من فكهِ الاعلى . وكانوا يستعملون الدهن للاستضاءة فلما شاع البترول بطل استعمالهُ وصاروا اذا اصطادوا حوتاً يأخذون عظمهُ و يتبذون دهنهُ . وكان هذا العظم رخيص الثمن يباع الرطل منهُ بنحو ثلاثة غروش ونكتهُ جعل يغلو بازدياد طلبهِ حتى بلغ سعر الرطل منهُ نحو ٣٥ غرشاً . اما لحم الحوت فكان ينبذ على كلّ حال حتى تنبهوا في العهد الاخير الى منافعهِ بعد ما رآوا اليابان تستعملهُ طعاماً لها طريفاً وقديداً منذ سنين كثيرة . وقد قدّروا ان في الحوت الذي

طوله نحو ٦٠ قدماً من اللحم ما في سبعين ثوراً . وكان لحم الحوت الجيد الطري يباع في اليابان الرطل بغرش ونصف الى ثلاثة غروش حسب جودته وما لا يمكن بيعهُ في الاسواق المدن الكبرى طريقاً لسبب من الاسباب كشدة حرارة الهواء او بعد المصايد عن المدن كان يقدد و يوضع في العلب . ويقال ان من لحم الحوت ما اذا احسن تدبيرهُ لم يفرق عن لحم البقر الجيد وكثير منهُ يؤكل في نروج

وفي البحر حيوانات اخرى كثيرة لحمها كثير الغذاء طيب النكهة اذا أحسن تدبيرهُ وهي ليست باحسن حالاً من الحوت من حيث معاملة الانسان لها . واشهر انواعها عجل البحر او القشمة المعروفة باسم Seal في الانكليزية . فانهُ طعام اهل الاصقاع الشمالية الذين ليس عندهم الوعل . يصيدهُ الصيادون للاتجار بفروه كما يثيرون بفرو الارانب والثعلب والسنور وغيرها من الحيوانات و يبذلون لحمهُ . وهو لو عني بهِ فقدد ووضع في العلب لسدَّ كثيراً من الافواه الجائعة التي لا تذوق اللحم لغلائهِ . ومما يدلُّ على عظم فتك الانسان بهِ انهُ بلغ ما اصطيد منهُ اربعة ملايين عجل سنة ١٨٦٧ فهبط الى ١٥٠ الفاً سنة ١٩١١ . ولما رأت الدول التي يكثر عجل البحر في ارضها ما آل اليهِ امرهُ خافت ان ينقرض انقراض كثير من الحيوان قبلهُ ببغي ابن آدم وعدوانهِ فعقدت انكلترا وروسيا واميركا واليابان مؤتمراً سنة ١٩١١ سمتهُ مؤتمر فرو القشمة الدولي فقررت حمايتهُ في الاوقيانس الباسيفيكي مدة ١٥ سنة بمعنى انهُ لا يجوز صيدهُ فيهِ الاَّ على شروط معينة تقلل الفتك بهِ

هذه خلاصة مقالة نشرتها المجلة العلمية الشهرية التي تصدر في اميركا بقلم احد العارفين . وقد ختمها منحياً على الناس عامة باللائمة لسوء سلوكهم نحو الحيوانات التي هم في اشدّ الحاجة اليها في طعامهم ولباسهم وسائر مرافقهم المعاشية فقال : ان الخطة التي نسير عليها من جهة طعامنا مبنية على اساس الشهوة دون غيرها . فان معظم الناس يعيشون ليأكلوا وقليل هم الذين يأكلون ليعيشوا . وتراهم اذا قدم اليهم لون من الوان الطعام لم تعودهُ اول ما نسأل هل هو لذيذ الطعم ولا نسأل هل هو مغذٍ يقوت الجسم »

اما العنوان فمأخوذ من قول رجل من اهل جزيرة نتوكت وهي جزيرة قاحلة سيئة عرض الاوقيانس . رأى الحيتان في زمانهِ — نحو اواخر القرن السابع عشر — تلعب في البحر وتمرح فقال : هذا مرعى نضر لاحفاد اولادنا سوف يقصدونهُ لاستخراج طعامهم منهُ » . اراد بذلك انهم سيصيدون حوتهُ للاتجار بهِ والربح منهُ . وقد فعلوا ولكنهم غالوا في صيدهِ حتى كاد ينقرض ولو عني بهِ و بغيرهِ من الحيوانات البحرية المتعددة الانواع

لقضى بها اولاد اولادنا حاجة عظيمة يوم تقلُّ المراعي باتساع دائرة العمران فتقلُّ تربية المواشي ويقلُّ لحمها وحينئذٍ فلا بد للانسان مما يسدُّ مسدَّهُ الاَّ اذا تحول على الثواني من اكل اللحوم الى اكل الخضر والبقول وهذا ما سيقاد اليهِ مضطرًّا لا مختارًا فيما نرى

ولقد اهتممنا بتلخيص هذه المقالة لان موضوعها اكثر انطباقًا على هذا القطر منهُ على غيرهِ فتكاد المراعي تنقرض منهُ تمامًا وسوف لا يبقى لها اثر فيهِ حينما تكثر مياه الري وتصير كافية لكل الاطيان التي يمكن اصلاحها وزرعها . والبرسيم الذي يزرع فيهِ الآن اثمن من ان ترعاهُ القطعان والمواشي المعدة للذبح ولذلك يضطر القطر ان يجلب اكثر ما يذبح فيهِ من الغنم والبقر من السودان وبلاد الشام . ولكن الغذاء في اسمك لا يقل عن الغذاء في لحم الغنم والبقر . وفي القطر اربعة مصادر كبيرة للسمك اولها بحر الروم والبحر الاحمر شمالاً وشرقًا والسمك فيها كثير على انواعهِ فاذا انتظم صيدهُ على اسلوب علمي كفى القطر وسهل اصدار شيء كثير منهُ ولو مقددًا

وثانيها البحيرات الكبيرة بحيرة المنزلة وبحيرة البرلُّس وبحيرة ادكو وبحيرة مريوط . وهي كثيرة السمك واذا اعتني بتربية السمك فيها على طرق علمية وجلبت اليها الانواع الفاخرة منهُ كفت بلادًا اكبر من القطر المصري

وثالثها بركة قارون وهي بحيرة كبيرة كثيرة السمك يوصل من سمكها من محطتين فقط من محطات سكة الحديد وهما محطة ابو كساه ومحطة ابشواي اكثر من خمسة عشر مليون كيلو في السنة ونظن ان ما يرسل من سائر المحطات يزيد على ذلك كثيرًا . وسمكها العريض من اطيب انواع السمك واكثرها غذاء للجسم وتوليدًا للقوة لكثرة ما فيهِ من الدهن . ذاقهُ في العام الماضي رجل فرنسوي من الكبراء الاكونين المشهورين بانتقاد الاطعمة فقال على مسمع منا انهُ الذ سمك اكلهُ في حياتهِ . ولقد احسنت الحكومة بمنع الصيد منها في زمن تفريخ السمك وحبذا لو اطالت زمن المنع قليلاً لان السمك الذي يصاد منها بعيد زمن المنع يكون صغيرًا جدًّا في الغالب

والرابع النيل والترع الكبيرة المتفرعة منهُ . ولو جرت المياه الى بعض المواطىء التي لا تزرع لوطوها ورُبِّي السمك فيها على طريقة علمية لكان منها دخل كبير لا يستخفُّ بهِ

والخلاصة انهُ ان عدم القطر المصري المراعي النباتية ففيهِ مراعٍ مائية واسعة جدًّا لتربية السمك والاستغناء بلحمهِ عن لحم غيرهِ

المعادن وقت الحرب

قال لقريطيوس الشاعر الروماني الذي توفي قبل المسيح بخمس وخمسين سنة « ان اسلحة الاقدمين كانت ايديهم واظافرهم واسنانهم والحجارة والعصي والنار حالما تعلموا اضرامها ثم اكتشفوا استعمال الحديد والنحاس ولكنهم استعملوا النحاس قبل الحديد لان سبكهُ اسهل والموجود منهُ اكثر »

واشعار العرب الحماسية في الجاهلية والاسلام الى عهد غير بعيد لا يذكر فيها الاَّ السيوف والرماح والحراب والسهام والدروع والتروس والخوذ وما اشبه . وكلها من الحديد او النحاس . ثم اضيفت اليها المجانق والنار اليونانية الى ان استنبط البارود في القرون الوسطى فصار اكثر الاعتماد عليهِ في رمي العدو بما يهدم حصونهُ ويغرق سفنهُ ويقتله او يجرحهُ جروحاً تمنعهُ من الحرب . وآلة البارود التي تحشى بهِ والقنابل التي يقذفها باشتعاله من المعادن ايضاً فبقي الاعتماد على المعادن مع المواد التي صنع البارود منها

وقد كثرت المعادن التي يعتمد عليها الآن في الحروب فهي الحديد والنحاس والزنك والرصاص والالمنيوم والمغنيسيوم والنكل والكروم والتنجستن والمولبدنم وكلها لازمة جداً فلا يستغني بواحد منها عن غيرهِ ولكن بعضها يستعمل بمقادير كبيرة كالحديد وبعضها بمقادير قليلة كالمعادن التي تستعمل لتقسيتهِ وصيرورتهِ فولاذاً (صلباً) . والبارود وما يجري مجراهُ من المتفجرات يدخل في تركيبها النتروجين والكبريت والكربون والالومينيوم وبعض المواد الآتية المستخرجة من قطران الفحم الحجري وكلها من المواد الكيماوية ولو لم تكن من المعادن . ولا بدَّ لسكك الحديد والاوتوموبيلات والسفن على انواعها من الفحم الحجري والزيت والمعادن كالحديد والنحاس . ولا بد للتلغراف السلكي واللاسلكي من النحاس والبلاتين والاطعمة وهي اهم ما يلزم للجنود تستخرج من الارض ولا يكثر مقدارها الاَّ اذا سمدت الارض جيداً بالاسمدة النتروجينية والفصفورية

وفوق ذلك كلهِ لا تستطيع دولة ان تفوز في حرب ما لم تكن مواردها المالية كافية وما لم يكن عندها ذهب تشتري بهِ ما تحتاج اليهِ من البلدان الاخرى لان عملة الورق لا تغني اذا لم يكن وراءها ذهب يسندها

والعناصر التي تتركب منها الكرة الارضية وما عليها تبلغ نحو ثمانين عنصراً وثلاثون

منها لازمة للحرب فاذا فقدت دولة من الدول بعضها وتعذَّر عليها جلبهُ من بلاد اخرى تعذر عليها ان تتغلَّب على عدوها مهما قويت شجاعة جنودها وصبرهم على المكاره. بل ان فقد عنصر واحد من العناصر الضرورية قد يكون سبباً لانكسار تلك الدولة

اذا اتضح ذلك ظهر انهُ ما من دولة تستطيع ان تتسع وتستولي على بلدان كثيرة في هذا الزمن ما لم يكن في بلادها كثير من المعادن والعناصر الضرورية كالامبراطورية البريطانية والامبراطورية الالمانية والجمهورية الفرنسوية - لكن بعض المواد الضرورية قليلة في المانيا كالنحاس والنكل والالومينيوم والقصدير والانتيمون والمنغنيس والبترول والنتروجين لكنها تمكنت مع ذلك من تدبير امرها حتى الآن بالمقادير الكبيرة التي جلبتها في اول الحرب من اسوج ونروج ولعلها خزنت مقادير منها قبل الحرب استعداداً لها. ولولا مقاطعة القوريين التي اخذتها سنة ١٩١٨ لكان ما فيها من مناجم الحديد غير كافٍ لمواصلة الحرب فان مناجم هذه المقاطعة تعادل كل مناجم البلاد الالمانية. ثم انها وجهت همها من اول الحرب الى الاستيلاء على المقاطعات الفرنسوية الغنية بالمعادن فخرمت فرنسا من ٨٥ في المئة من حديدها وهي تحارب فرنسا وانكلترا الآن بمدافع وقنابل مسبوكة من الحديد الفرنسوي ونقسي هذا الحديد وتصيرهُ صلباً باسلوب استنبطهُ رجلان انكليزيان

وانكلترا كثيرة الحديد والفحم الحجري وينقصها معادن اخرى ومواد اخرى لازمة للحرب ولكن يسهل عليها جلبها من اماكنها لان البحار طوع امرها. واكثر الذهب يستخرج من البلدان الانكليزية فتشتري به ما تحتاج اليهِ

اما فرنسا فاهم مناجمها صارت في قبضة الالمان كما تقدم ولكن طريق البحر مفتوح امامها لجلب ما تشاء وهي بلاد صناعية يسهل عليها عمل ما تريد اذا وجدت المواد الاولية. وروسيا كثيرة المعادن ولكن استخراج المعادن من مناجمها قليل ولذلك لا تستطيع ان تسلح كل رجالها ولولا بقاء مقاليد البحر في يد انكلترا لتعذر ارسال الاسلحة الكافية الى روسيا والمعادن الاولية الى فرنسا

وقد ظهر احتياج الدول المتحاربة الى المعادن بارتفاع اسعارها المتوالي فالحديد الذي كان الطن منهُ يباع في اميركا قبل الحرب بثلاثة جنيهات تضاعف ثمنهُ هناك قبل نهاية سنة ١٩١٦. ويلغ عندنا اكثر من عشرة اضعاف بما اضيف اليهِ من اجرة الشحن. والنحاس الذي كان ثمن الرطل منهُ اقل من ثلاثة غروش بلغ قبل نهاية سنة ١٩١٦ سبعة غروش.

والزنك الذي كان رطلهُ يباع قبل الحرب بغرش يبلغ ثمنهُ اربعة غروش في النصف الاول من سنة ١٩١٥ . والفضة التي كان ثمن الاوقية منها ١١ غرشاً في اول الحرب صار الآن نحو ٨٠ غرشاً . والاتيمون كان قليل الاستعمال قبل الحرب وكانت الاوقية منهُ تباع بنحو غرش ونصف فبلغ ثمنها نحو تسعة غروش في شهر مارس سنة ١٩١٦ وحينئذٍ جعلت الصين تستخرج الاتيمون بكثرة وهو كثير فيها فهبط سعرهُ في آخر تلك السنة الى نحو ثلاثة غروش الاوقية . والالومينيوم كان ثمن الرطل منهُ في بداءة الحرب نحو ثلاثة غروش ونصف فصار ٣٠ غرشاً سنة ١٩١٦ .

وبزيادة اسعار المعادن زاد العمل في المناجم وزاد ربح اصحابها . فالمناجم الاميركية التي وزّعت ربحاً مقدارهُ ٧٨ مليون ريال سنة ١٩١٥ بلغ الربح الذي وزعتهُ في العام الماضي ٧٠ مليون ريال

وكان من نتائج هذه الحرب ان تراكم الذهب في الولايات المتحدة الاميركية لان بلدان اوربا المتحاربة اضطرت ان ترسل اليها بالكثير من ذهبها لابتياع ما تحتاج اليهِ منها فبلغ ماجتمع منهُ فيها في شهر نوفمبر الماضي ٥٤٠ مليون جنيه . وكل ما يستخرج من الذهب الآن من مناجم الذهب في المسكونة كلها يرسل الى الولايات المتحدة . ولعلَّ ذلك من اكبر الاسباب لارتفاع الاسعار

وسيكون للمعادن وكثرتها وقلتها شأن كبير في اطالة الحرب او تقصيرها كما كان للسيوف والسهام والرماح في العصور الغابرة . وما دام الطبع الوحشي متسلطاً على الانسان لم يعدم وسيلة يقتل بها مناظرهُ او يوقع الاذى بهِ

وآلة الحرب الرجال والمعادن . وقد كان الاعتماد فيها على قوة الرجال البدنية ومهارتهم في استعمال الاسلحة وانكر والفر او الهجوم والدفاع وعلى صلابة المعادن وجودة طبعها واتقان وضعها . اي كانت الحرب صناعة اما الآن فصارت علماً يستخدم مادَّة الرجال والمعادن لقهر العدو على اساليب علمية مدققة . ومما يدعو الى الاسف الشديد ان الطبع الوحشي يستعمل العلم الذي هو اشرف نتائج عقل الانسان للفتك بالانسان

بطليموس صاحب الرأي القديم

الشمس وسيّاراتها حسب نسبة اقدارها اليها

مقتطف نوفمبر ١٩١٧

امام الصفحة ٤٧٣

بسائط علم الفلك

(٢)

ذكرنا في الجزء الماضي مذهب بطليموس في هيئة الفلك وخلاصتهُ ان كرة الارض قائمة في مركز الكون وان الشمس والقمر والنجوم السيَّارة وغير السيَّارة تدور حولها دورة كاملة كل يوم من الشرق الغرب كما يظهر لعين الناظر

وقد يظن لاول وهلة ان الذين قالوا بهذا المذهب من علماء الفلك اليونان والرومان والعرب كانوا مثل العامَّة في هذا العصر الذين لم يدرسوا علم الفلك او لم يقفوا على تفاصيل المذهب الجديد الذي يجعل الشمس مركز النظام الشمسي ويثبت ان الارض والسيارات تدور حولها . وانهم كانوا مثل العامَّة يحسبون الشمس قرصاً صغيراً كراحتي اليد والقمر مثلها او اصغر قليلاً والكواكب والنجوم نقطاً منيرة في الفلك . وليس الامر كذلك بل ان جمهور المتعلمين حتى رجال الادب كانوا يعلمون ان الشمس والقمر والنجوم كبيرة جدًّا لا كما ترى بالعين . قال ابو العلاء المعري

والنجمُ تصغر الابصار صورتهُ والذنب للطرف لا النجم في الصغر

اما علماء الفلك فعرفوا ان الشمس والقمر والكواكب والنجوم كبيرة جدًّا قبل بطليموس وبعدهُ ولم يكتفوا بهذا القول المجمل بانين اياهُ على الظن بل قاسوا اجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية وعرفوا مقدارها بما يقرب من الحقيقة وقاسوا ايضاً ابعادها عن الارض وسعة الافلاك التي تدور فيها وشكلها . والنتائج التي وصلوا اليها مبنيَّة على مقدمات صحيحة في الغالب ولم تأتِ مطابقة للواقع لان آلات الرصد التي صنعوها لم تكن دقيقة

فعرفوا ان الارض كرة من شكل ظلها المتديرعلى القمر وقت خسوفهِ ووجدوا بالقياس ان قطرها نحو ثمانية آلاف ميل من اميالنا وقالوا ان الشمس اكبر منها نحو ١٦٦ مرة وان قطرها اطول من قطر الارض خمس مرات ونصف مرة وان بعدها عن الارض يبلغ نحو ٩٣٠٠٠٠٠٠ ميل . وان القمر اصغر من الارض فان قطرهُ ٢١٦٠ ميلاً فقط وبعدهُ عن الارض نحو ٢٤٣٠٠٠ ميل . وعطارد اصغر من الارض ايضاً لكنهُ ليس نقطة في السماء بل هو اكبر من القمر وقطرهُ ٤٨٠٠ ميلاً وبعدهُ عن الارض ٦٦٤٠٠٠٠٠ ميل . والزهرة اكبر منهُ ولكنها اصغر من الارض وقطرها ٧٢٢٠ ميلاً وبعدها عن الارض

٠٠٠ ٤٧٣ ٢ والمريخ اكبر منها وقطره ٤٥٩١ ميلاً وبعده عن الارض ٠٠٠ ٨٨ ٠ ٣٢ ميل والمشتري اكبر منه كثيراً ومن الارض ايضاً وهلم جرًّا. وهاك جدولاً اثبتنا فيه اقطار هذه الاجرام وابعادها عن الارض حسب ما وجده المتقدمون قبل بطليموس وبعده الى ان صنع التلسكوب وآلات الرصد الجديدة واقطارها وابعادها عن الشمس كما عُرفت الآن

	حسب القياس القديم		حسب القياس الحديث	
	القطر	البعد عن الارض	القطر	البعد عن الشمس
عطارد	١٤٨٠	٦٦٤ ٠٠٠	٢٩٧٤ ميلاً	٣٦ ٠٠٠ ٠٠٠ ميل
الزهرة	٣٢٢٠	٣ ٤٧٣ ٠٠٠	٧٦٩٢ »	٦٧ ٠٠٠ ٠٠٠ »
الارض	٧٨٥٠		٧٩٠٧ »	٩٣ ٠٠٠ ٠٠٠ »
المريخ	٤٥٩١	٣٢ ٠٨٨ ٠٠٠	٤٣٠٦ »	١٤٢ ٠٠٠ ٠٠٠ »
المشتري	٣٤٦٦٦	٥١ ٦٩٦ ٠٠٠	٨٦٣٥٩ »	٤٨٤ ٠٠٠ ٠٠٠ »
زحل	٢٩١٦٦	٧٢ ٣٧٦ ٠٠٠	٧٢٧٧٢ »	٨٨٧ ٠٠٠ ٠٠٠ »
الشمس	٤٤٠٠٠	٤٨٠ ٠٠٠	٨٦٦٠٠٠ »	

ورب قائل يقول كيف قاس القدماء قطر الارض واقطار هذه الكواكب وابعادها ولم يكن لديهم شيء من آلات الرصد المستعملة الآن

والجواب ان علماء الفلك المشار اليهم كانوا يعرفون من علم الهندسة وحساب المثلثات ما مكنهم من ذلك وهو مما لا يعرفهُ العامة في عصرنا ولا اكثر الخاصة ولذلك يصعب علينا ان نشرح لجمهور القراء كل الاساليب التي جروا عليها شرحاً يفهمهُ الذين لم يدرسوا علم الهندسة وعلم حساب المثلثات على الاقل ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

اما قطر الارض اي الخط الوهمي المستقيم المرسوم في قلب الارض من طرف الى طرف مارًّا بمركزها فقد يظهر لاول وهلة ان معرفة طوله ضرب من المحال ولكن اذا قسنا محيط الارض اي الخط الذي يدور حولها ويقسمها قسمين متساويين (وسمي عند علماء الهندسة بالدائرة العظيمة) عرف طول قطر الارض من غير ان نقيسهُ لان القطر نحو ثلث المحيط او اقل من الثلث بقليل. وقياس المحيط كلهِ ليس في الامكان ولا يخطر ان يتوخاهُ احد ولكن اذا تعذر علينا قياس خط طويل مثل هذا يمر حول البحار والجبال والوهاد لم يتعذر علينا ان نقسمهُ الى مئة قسم او الف قسم متساوية فاذا قسنا قسماً واحداً منها عرفنا

قياسها كلها والدائرة تقسم اصطلاحاً الى ٣٦٠ قسماً متساوية تسمّى درجات فاذا قسنا طول درجة واحدة من محيط الارض عرفنا طول محيطها كلهِ . وهذا فعلهُ علماء الفلك من اليونان قبل بطليموس ومن العرب بعدهُ

اما اليونان فيقال ان عالماً منهم اسمهُ ارانوستنس Eratosthenes ولد في القيروان سنة ٢٧٦ قبل المسيح ودرس في الاسكندرية واثينا ثم دعي الى الاسكندرية سنة ٢٣٤ فاقام فيها الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٩٤ قبل المسيح . هذا الرجل الّف كتاباً في معرفة حجم الارض وقال ان الشمس تكون عمودية فوق الارض في مدينة اسوان وقت الانقلاب الصيفي فاذا نُصب عمود في الارض هناك لم يظهر لهُ في الظهيرة ظلٌّ ممتد شمالاً واذا نصب عمود آخر مثلهُ في الاسكندرية ظهر لهُ ظل شماليٌّ في تلك الدقيقة عينها واذا رسم خط من اعلى العمود الى طرف الظل وجدت الزاوية التي تكون بينهُ وبين الظل سبع درجات وخمس درجة . فهي درجات المسافة بين الاسكندرية واسوان . والمسافة من الاسكندرية الى اسوان يسهل قياسها والظاهر انها كانت مقيسة حينئذٍ فاذا قسمت على سبع درجات وخمس درجة عرفت حصّة الدرجة من الارض فتضرب بثلاثمائة وستين درجة فيعرف محيط الارض . ويقال ان المسافة بين الاسكندرية واسوان ٥٠٠٠ ستاديوم فمحيط الارض ٢٥٠٠٠٠ ستاديوم لان السبع الدرجات والخمس تساوي جزءاً من خمسين من المحيط . والستاديوم يعادل ١٥٧ متراً ونصف متر او ٥١٦ قدماً ونحو ثلاثة ارباع القدم وعليهِ فمحيط الارض حسب ما وجدهُ هذا العالم ٢٤٦٦٢ ميلاً وقطرها ٧٨٥٠ ميلاً . والمعروف الآن ان قطر الارض القطبي اي الخط الممتد من احد قطبيها الى الاخر طولهُ ٧٩٠٠ ميل

ثم ان قبة السماء المقابلة للارض مثل نصف كرة مجوفة واذا توهمنا وجود خط عليها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب فذلك الخط نصف دائرة وفيهِ ١٨٠ درجة وفي جهة الشمال من السماء نجم يسمى نجم القطب يظهر كأن النجوم كلها تدور حولهُ والحقيقة انهُ مقابل القطب الارض الشمالي اي على طرف محورها الذي تدور عليهِ في دورتها اليومية فيظهر لنا نحن الذين على سطحها كأن نجوم السماء هي التي تدور حول نجم القطب هذا لانهُ مقابل لطرف محور الارض . ونجم القطب يعلو عن الافق في القاهرة نحو ٣٠ درجة وفي بيروت نحو ٣٤ درجة وفي اسوان نحو ٢٣ درجة اي كلما ابعدنا عن القاهرة درجة شمالاً رأينا ارتفاع نجم القطب عن الافق الشمالي يزيد درجة وكلما ابعدنا عن القاهرة

درجة جنوباً وجدنا ارتفاعهُ عن الافق ينقص درجة وعلى هذا المبدإ قاس علماء العرب طول الدرجة ومحيط الارض . وهاك ما ذكرهُ ابو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان

قال « ان الارض كرية وانها في الوسط فسطح الارض وهو محدبها موازٍ لمقعَّر السماء فالدوائر العظام التي على سطح الارض موازية لعظام الفلكية وتنقسم كانقسامها على ثلثمائة وستين درجة فاذا سار سائر على خط نصف النهار وهو الخط الواصل بين القطبين الشمالي والجنوبي في ارض مستوية خالية من الوهدات عرية عن الربوات على استقامة من غير انحراف اصلاً حتى يرتفع لهُ القطب او ينخفض درجةً فالقدر الذي سارهُ من تلك الدائرة يكون حصة درجة واحدة منها وتكون تلك الدائرة الارضية ثلثمائة وستين مرة مثل ذلك القدر . وقد قام بتحقيق ذلك طائفة من القدماء كبطليموس صاحب المجسطي وغيره فوجدوا حصة الدرجة الواحدة من الدائرة العظيمة المتوهمة على الارض ستة وستين ميلاً وثلثي ميل . ثم قام بتحقيقهِ طائفة من الحكماء المحدثين في عهد المأمون وحضروا بأمره في برية سنجار وافترقوا فرقتين بعد ان اخذوا ارتفاع القطب محرراً في المكان الذي افترقوا منهُ اخذت احدى الفرقتين في المسير نحو القطب الشمالي والاخرى نحو القطب الجنوبي وساروا على اشد ما امكنهم من الاستقامة حتى ارتفع القطب للسائرين في الشمال وانحط للسائرين في الجنوب درجة واحدة ثم اجتمعوا عند المفترق وتقابلوا على ما وجدوهُ فكان مع احداهما ستة وخمسون ميلاً وثلث ميل ومع الاخرى ستة وخمسون ميلاً بغير كسر فاخذ بالاقل وهو ستة وخمسون ميلاً » اه . ولم يذكر ابو الفداء الاَّ عملاً واحداً والحال انهما عملان جريا في آنٍ واحد احدهما في برية سنجار من بلاد ما بين النهرين والآخر الى الشمال من بلد الشام بين تدمر والفرات وقد اثبتهما ابن يونس وهو من نقول علماء الهيئة الذين نبغوا في عصر الخلفاء العباسيين وكانت وفاتهُ سنة ١٠٠٨ للميلاد . قال سنادبن علي امرني المأمون ان احقق وخالد بن عبد الملك درجةً من الدائرة العظيمة على سطح الارض فذهبنا لذلك وسار علي بن عيسى الاسطرلابي وعلي بن البحتري في طريق اخرى اما نحن فتوجهنا الى ان وصلنا بين انامية وتدمر فوجدنا الدرجة ٥٧ ميلاً ووجدها كذلك علي بن عيسى وعلي بن البحتري و بعثنا بالخبر فوصل في آنٍ واحد . وذكر ابن يونس رواية احمد بن عبد الله الملقب بحبش في كتابهِ مطالع الارصاد وحاصلها ان العلماء ساروا في برية سنجار وتحققوا الدرجة فوجدوها ستة وخمسين ميلاً وربع ميل والميل اربعة آلاف ذراع هاشمية والذراع الهاشمية

وضعوا المأمون وهي $\frac{٥٤}{١٠٠٠}$ من المتر فالميل العربي يعدل ٢٠٦٤ متراً والدرجة من ٥٦ ميلاً وربع الميل اي ١٢١٧٢٥ متراً

اما ابعاد الشمس والكواكب عن الارض فاول من حاول معرفتها بطريقة علمية ارسترخس الذي نشأ سنة ٢٨١ قبل المسيح فانهُ راقب البعد بالدرجات بين الشمس والقمر حينما يكون القمر في التربيع اي حينما يكون نصف وجههِ المتجه الينا منيراً وقاس الزوايا الحاصلة من رسم ثلاثة خطوط بين الشمس والارض والقمر واستنتج منها ان بعد الشمس عن الارض يجب ان يكون بين ثمانية عشر وعشرين ضعف بعد القمر عن الارض. والنتيجة خطأ ولكن الطريقة صحيحة . وقد اخطأ في النتيجة لانهُ اخطأ في قياس الزوايا . وحاول معرفة بعد الشمس عن الارض من معرفة عرض ظل الارض الذي يمرُّ فيهِ القمر حينما يخسف والطريقة صحيحة وظل معمولاً بها ١٦٠٠ سنة ولكن النتيجة التي وصل مستعملوها اليها غير صحيحة لانهم لم يستطيعوا ان يقيسوا زاوية اختلاف الشمس بالتدقيق

ويقال ان هبَّرخس الفلكي المشهور اعتمد على هذه الطريقة فوجد ان جرم الشمس يعادل ١٠٥٠ جرماً مثل جرم الارض اي ان قطرها مثل قطر الارض عشرمرات وسدس مرة وان نسبة قطر القمر الى قطر الارض كنسبة ١ الى $\frac{٢}{٥}$ ٣ وان بعد القمر عن الارض يساوي $\frac{١}{٢}$ ٦٠ مرة قطر الارض وبعد الشمس عن الارض يساوي ٢١٠٣ مرة قطر الارض لكن ثيون الاسكندري قال ان هبَّرخس وجد ان الشمس أكبر من الارض ١٨٨٠ مرة وان قطرها اكبر من قطر الارض $\frac{١}{٢}$ ١٢ مرة و بعدها عن الارض ٢٥٥٠ مرة قطر الارض . واما قطر القمر فيساوي $\frac{٣}{١٤}$ من قطر الارض و بعدهُ عنها $\frac{١}{٢}$ ٦٠ مرة قطرها

فما وجدهُ القدماء من جهة قطر القمر و بعدهِ قريب من الحقيقة واما ما وجدوهُ عن اقطار الشمس والسيارات وابعادها فاقل من الحقيقة كثيراً كما تقدَّم . ولم يكن في الامكان معرفة الاقطار الحقيقية والابعاد الحقيقية الاَّ بعد اكتشاف التلسكوب

وقد حاول القدماء معرفة اقدار النجوم الثوابت وابعادها ايضاً فقال البتاني في زيجهِ ان النجوم التي من القدر الاول يبلغ بعدها عن الارض ٧٦ مليون ميل وقطر كل منها نحو ٤٠ الف ميل واكثر ما قالهُ في هذا الباب تحكُّم

ولكن الذي يقضي بالعجب هو الاستمرار على القول بان الارض واقفة في مركز الكون والشمس والنجوم كلها تدور حولها مع ما عرفوهُ من اقدارها وابعادها ولذلك تقوَّض مذهبهم حالما ظهر المذهب الجديد كما سيجيء

السلطان حسين كامل

توفاهُ الله ظهر يوم الثلاثاء في ٩ اكتوبر ١٩١٧

مقدمة

منذ عَلِمَتِ الامة المصرية ان سلطانها العزيز اشتد عليهِ الداء العياء وانهُ لا يكاد يرجى لهُ شفاء باتت كئيبة لا يطيب لها عيش ولا يهنأ لها هناء وهي مع ذلك تغالب اليأس بقوة الرجاء وتضرع الى الله ان يخطئ فيهِ حساب الاطباء حتى صح الصحيح وانقطع حبل الرجاء ولبى سلطاننا العزيز دعوة ربهِ ففارقت روحهُ الطاهرة دار الفناء والفناء الى جنة الخلد ودار النعيم والبقاء . فاسست الامة وهي تبكي فراقهُ خاجتها اليهِ لا لحاجتهِ اليها وتمنى لو كان يفتدى ان تفتديهُ باعز عزيز عليها

فقدت مصر بفقدهِ ذخراً عظيماً وكنزاً لا يقوم بثمن فما كل يوم توفق الامم بملك عرك الدهر وذاق منهُ الحلو والمر فاعدتهُ التجارب للحكم وعلمتهُ غير الزمان سياسة الانام . ولم يقيض لمصر في كل حين امير قضى زمان الصبا في بلاد امبراطور من اعظم امبراطرة فرنسا ثم تروض في ميدان السياسة والحكم المطلق على عهد المغفور لهُ والدهِ حتى ادرك فيهِ الشأو الرفيع وبلغ المنزلة الاولى في السطوة والصولة والهيبة العليا فاحاط علماً بمزايا ذلك الحكم ومساوئهِ وضارع ابرع حكام تلك الايام في اجتلاء مناقبهِ واجتناب مضارهِ

ولما دار دولاب الدهر واستُبدل الحكم المطلق بالمقيد في مصر رأينا الامير حسيناً يضارع نوائب الزمان فعرفناهُ عيناً لاعيان مصر ومزارعاً من انجح مزارعي القطر وعاملاً مشاركاً لابناء وطنهِ في اتعابهم وهمومهم وجاداً في معاونتهم على ما بهِ خيرهم وصلاح امرهم حتى احاط علماً بما تشكو الرعية منهُ وما تشكر عليهِ وما هي في غنى عنهُ او في حاجة اليهِ . واصبح الامير حسين في اعتبار اهل وطنهِ الصديق الصادق لامتهِ الشارك لها في السراء والضراء العارف بحاجاتها الشاعر بحقيقة امرها فكان مشكى ضيمها ومحل ثقتها ومستودع امانيها وامالها وصاحب الكلمة المسموعة عندها والمشورة المقبولة بين وجوهها واعيانها حتى هبت هذه الحرب واوشكت مصر من الامارة الى السلطنة فكان السلطان حسين باتفاق اولي الرأي العائب والنقد الصحيح خير كفوء للجلوس على سريرها واستلام مقاليدها . وقد اثبتت الايام صحة رأيهم

فانهُ لما ارتقى رحمهُ الله الى اريكة السلطنة كانت نيران الحروب والفتن مكتنفة مصر من الجانبين . وكان الناس حيارى يصدق عامتهم ما يلقى اليهم من الاوهام والظنون . وكانت القلوب واجفة وكان الناس معرضين لوهم منهم لا لذنب ولا لخطاء من سواهم فأمدَّ الله سلطاننا وايدهُ بتوفيق من عندهِ لان البلاد سعدت في عهدهِ سعادة انفردت بها دون سواها من البلدان المجاورة لها بل دون الممالك العظيمة القاصية عنها لان سلطنة مصر نجت في ايامهِ من غوائل الحرب وويلاتها واوبائها ومصائبها وبجاعاتها ولان ميازيب الخير والثروة تدفقت عليها والرية السلم تحفق على ربوعها واهلها رانعون في بحبوحة الامن والراحة لا يخافون غدر عدو ولا مفاجأة طارق على حين ترى الخراب والدمار وسفك الدماء والموت والجوع والامراض منتشرة في اكثر الاقطار التي طالما غبطها هذا القطر على ما تتمتع بهِ من الهناء والرخاء والراحة والنعيم

وتناول فقيدنا العظيم صولجان الملك بعزم ثابت وعاهد ربهُ على ان يعيش لشعبهِ لا لنفسهِ ما بقي من عمرهِ . واظهر ما وعى صدرهُ بعد طول الاختبار من حسن السياسة في استمالة رعيتهِ اليهِ واعادة ثقتها بهِ فلم يمض الجول على حكمهِ حتى رأينا الامة المصرية باسرها اسيرة حبهِ وطوع اشارتهِ ولم يترك في صدور خاصتها وعامتها اثراً لخوف من ظلم او غدر او انتقام او محلاً لشكوى من ضيم او هضم حق او تعدٍّ على نفس او مال . بل رأيناهم متفقين على الشهادة بان سلطانهم خير قدوة لرجال حكومتهِ ولافراد رعيتهِ في التزام جادة الحق والعدل وفي المحافظة على دستور البلاد وقانونها وفي الغيرة على ترقية مصالح الامة وعلى تعليم ابنائها و بناتها والتأليف بين قلوب طوائفها

وكم من مرة قال الناس ان السلطان حسيناً اجزل الله ثوابهُ اعاد الى مصر عهد الخلفاء الراشدين في برهِ وتقواهُ واحترامهِ للعلماء ومحافظتهِ على الآداب وتجملهِ بكرم الاخلاق ورقة الجانب والانضاع . واسر بجودهِ وكرمهِ قلوب القريبين والبعدين واطعم بسخائهِ الجياع وكسا العراة وتصدق على الفقراء والمحتاجين

وقد كان اوطد سند لوزرائهِ واعظم حاث لهم على قضاء مصالح الامة واقدر مستعين بالدولة الحامية لهذا القطر على قضاء لبانات ابناء مصر . ونحن نعلم مقاصدهُ الحميدة ومساعيهُ الحسان مع مساعي صاحب الدولة كبير وزرائهِ في ابلاغ مصر المنزلة النيابية التي طالما تمنتها والاحكام الذاتية التي وقفا حياتهما السياسية على ادراكها

فيرضى ربهِ عنهُ لسلامة قلبهِ وحسن نيتهِ و بما منَّ ربهُ بهِ عليهِ من عقل وحكمة وحسن

سياسة و بالسيرة الدستورية التي سارها مدة حكمهِ والاعمال الصالحة التي يبقى ذكرها خالداً بعدهُ حتَّ السلطان حسين اسمى محل من الاعتبار في نفوسنا ومن المحبة في قلوبنا وحق للامة ان تعد فقدهُ خسارة عظيمة منيت بها . وقد ترك لخلفهِ حكمًا دستوريًا حسن النظام وطيد الاركان عالياً في اعتبار الامة اسمى مكان . وقد ادام الله نعمتهُ لهذا القطر باختيار امير عاقل حليم ربي في مهاد الدستور وسبر غور الامور وشارع اخاهُ الفقيد الكريم في صفاء النية وحسن الطوية وحب الخير للامة المصرية فقد جبر الله قلوبنا بسلطاننا المعظم السلطان فؤاد اجمل الله لعظمتهِ ولرعيتهِ العزاء واتم على عهدهِ المقاصد الحميدة والاعمال النافعة التي كان ساكن الجنان سلفهُ بنويها لهذا القطر والتي توجب لها كليهما جميل الذكر وحسن الاجر

اهتمامهُ بتعليم الامَّة

اذا طالعنا تاريخ هذا القطر من اول عهدهِ الى الآن وقابلنا بين الذين جلسوا على عرشهِ ملوكاً كانوا او سلاطين واستعدادهم الفطري والاكتسابي للاهتمام بامم مصالح مكانهِ المعاشية لم نجد بينهم من فاق الراحل العظيم في ذلك . فقد رقي عرش مصر بعد ان تقلب في مناصب الحكومة المختلفة وعاشر كل طبقات الناس في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار من صغر فلاح الى اكبر وزير واشتغل بامم اشغال السكان وهي الزراعة بكل فروعها . عمل فيها السنين الطوال و بحث في كل ما يرقي شأنها وشأن المشتغلين بها كاقامة المعارض وانشاء النقابات الزراعية

ولما تشرفنا بمقابلتهِ اول مرة مقابلة خصوصية بعد جلوسهِ على عرش السلطنة المصرية اعرب لنا عن رغبتهِ الشديدة في زيارة المعاهد العلمية كلها مدارس البنين ومدارس البنات لكي يقف على احوال التدريس فيها و يرى ما تحتاج اليهِ و يبذل جهدهُ في ما يرقيها و يأول الى تعميم التعليم والتهذيب في القطر كلهِ

ومما قالهُ لنا : اني عازم ان شاء الله ان ازور الازهر الشريف واقف بنفسي على اساليب التعليم فيهِ ولو اقتضت هذه الزيارة ساعة او ساعتين ثم انظر مع المتولين شؤونهُ في الاساليب التي ترقي العلوم العصرية حتى تتشارع ما فيهِ من العلوم الشرعية واللغوية . وساَزور ايضاً مدرسة القضاء الشرعي واقف على سير التعليم فيها واهتم بشؤونها لانني احسب ان للمتخرجين فيها شأناً في ترقية اخلاق الامة بنوع عام اذا تمكنتهم منكنات الخير استطاعوا ان يقضوا بحق الله ويرشدوا كل الذين لهم اتصال بهم الى خير العمل . ثم ازور مدارس

المعلمين والمعلمات حيث يتعلم مربو الامة ولاسيما مدارس المعلمات لان تعليم البنات صار من اوجب الامور . وبعد ان افاض في هذا الموضوع قال : وسأزور سائر المعاهد العلمية وكل ما لهُ شأن في رقي الامة . وامرنا ان ننشر ذلك في المقطم لكي يقف عليهِ العام والخاص . فعملنا حسب امرهِ ويرهو بوعدهِ فزار جميع معاهد التعليم غير فارق بين الاجناس والمذاهب . وكثيراً ما كان يقف في حلقات التدريس ويمتحن الطلبة بنفسهِ ويلقي عليهم نفائس النصائح ودرر الحكم كقولهِ في مدرسة القضاء الشرعي : —

« كنت اود ان ازوركم لا بن ان اتشرف بزيارتكم منذ تأسست هذه المدرسة . اقول ان اتشرف بزيارتكم ولا حرج عليَّ في ذلك لانكم انتم علماء المستقبل ورجال الوطن الاكفاء الذين يؤمل منهم خدمتهُ وترقيتهُ بعلمهم وعملهم سواء كان ذلك بجلوسكم على كراسي القضاء الشرعي بعد خروجكم من هذه المدرسة فتحكموا بين الناس بالعدل او باشتغالكم بالمحاماة او التعليم او غير ذلك من المهام الاخرى التي تجعلكم بمقام المرشدين للامة والمسددين خطاها . وقد تحقق الآن ما تمنيتهُ فزرت هذه المدرسة ورأيت من بوادر النجاح والتقدم وحسن النظام ما ملأ قلبي سروراً وفرحاً ولكني اوجه انظاركم الى امر جدير بالتأمل والتدبر وهو انكم تتعلمون في هذه المدرسة مجاناً على نفقة الامة فان المال الذي ينفق على تعليمكم مجموع من افرادها وقد جمعوهُ بالجد والكد وبذلوهُ لكم عن طيب نفس فانتم على ذلك مدينون للامة بعلمكم ومدينون لاساتذتكم الذين انفقوا اعمرهم وقوام على تعليمكم وتثقيفكم . واول ما يجب عليكم ان توفوا هذا الدين لاساتذتكم ولامتكم ولا يكون ذلك الا بتعاونكم على خدمة الامة والنهوض بها عملياً كما علمتكم وانهضوا بها كما نهضت بكم واخلصوا لها الخدمة واعملوا جميعاً على ما فيهِ سعادتها ونجاحها . ان التعاون من اقوى عوامل النجاح والفلاح وقد سمعتم الآن استاذاً من اساتذة هذه المدرسة يلقي درساً على الطلبة في بيان فائدتهِ وتأثيرهِ في الاعمال فعسى ان تتعاونوا على اسعاد الامة كما تعاونت الامة على اسعادكم . انني افتخر بكم وارجو ان تكونوا من نخبة رجال المستقبل النافعين للوطن »

ولم يكن يكتفي بالنصح والارشاد بل كان يهب الهبات السنية للنابغين والنابغات وللاساتذة ايضاً تشجيعاً لهم وواظب على ذلك حتى ان الطلبة صاروا بعد قليل اشد افراد رعيتهِ حباً لهُ ومجاهرة بمدحهِ ودعاء لهُ بطول العمر والتأييد

وكان همهُ مصروفاً الى تعليم البنات كما الى تعليم البنين يحث كل ذوي الشأن الذين يشرفون بمقابلتهِ على انشاء المدارس لتعليمهن حاسباً ان ارتقاء البلاد يبتدىء في البيت

وان الام هي المهذبة الاولى للامة او كما قال لنا في حديثه الاول ان تعليم البنات صار من اوجب الامور ولا يكفي ان تتعلم البنت التكلم بالانكليزية او الفرنسوية بل لا بد ان تتعلم قبل ذلك تدبير المنزل وتربية الاولاد اي يجب ان تتعلم البنات ليكنّ ربات بيوت الامة ومربيات الجيل المقبل

ولم يترك مصلحة من مصالح رعيته الحيوية الاَّ اهتم بها. واتفق انهُ لما توفي لورد كتشنر واهتم البعض باقامة تمثال تذكاريٍّ لهُ كنا متشرفين بمقابلته فاقترح ان يكون هذا التذكار مدرسة طبية للبنات ومستشفى للنساء وود ان يفتتح لها اكتتاب عام ووعد بان يفتتح الاكتتاب بنفسه بخمسمائة جنيه. وبعد ان القى علينا خطبة نفيسة في هذا الموضوع معززاً اياها بالشواهد امرنا ان نكتب ما سمعناهُ من لسانه فكتبنا ما وعتهُ الذاكرة وعرضناهُ على عظمته فاستحسنهُ وامرنا بنشره كما هو فنشرناهُ في المقطم وكانت النتيجة ان جمعت اموال طائلة لهذا الغرض الحميد واقتدت انكلترا والهند بالقطر المصري في جعل التذكار للورد كتشنر مما ينفع البلاد

النعي والتعازي

وصل نظامة السر رجنلد ونجت نائب الملك التلغراف التالي الى حكومة جلالة الملك

« انعي اليكم بملء الاسف السلطان حسين كامل وقد انتقل الى دار البقاء اليوم الساعة الثانية عشرة والدقيقة ١٠ في سراي عابدين

« وسيحتفل بتشييع جنازته الى جامع الرفاعي في العاصمة

« ولا ريب في ان غيرة عظمته ونشاطهُ في العمل عجّلا في وفاته قبل الاوان

« وقد امتاز حكمهُ بالامن والطمانينة والتقدم فطرد العدو عن ابواب مصر وزهت الزراعة وبدئ باصلاحات جديدة وسيظهر التاريخ ما كان لشجاعة السلطان المغفور لهُ وشعوره بالواجب والشرف من النصيب العظيم في ما جنت بلادهُ من هذه الفوائد والنعم

« لقد خسرت مصر بفقد السلطان خسارة وطنية ستلقي فيها عطفاً شديداً من انكلترا

« ولقد طلب مني صاحب السمو البرنس احمد فؤاد حين ارتقائه العرش ان ابلغ حكومة جلالة الملك عزمهُ على اتباع النهج السامي الذي نهجهُ السلطان حسين وان يعمل مع حكومة جلالة الملك بتمام التعاون والاخلاص في ما يعود على مصر بالخير العظيم والنفع العميم »

وارسل صاحب الدولة حسين رشدي باشا رئيس الوزراء منشوراً تلغرافياً نعى فيه الفقيد وهذا نصهُ

دهمت مصر مصيبة عظيمة اذ فقدت مليكها المحبوب فقد اختار ذو العرش والجلال الى جواره في دار النعيم المقيم صاحب العظمة السلطانية المغفور لهُ حسين الاول ولفظ النفس الاخير من حياته الطيبة ظهر هذا اليوم (٩ اكتوبر)

ان الراحل الكريم بفائق تفانيه في محبة بلاده وبديع اخلاصه للمصلحة العامة في اثناء المدة الوجيزة التي تبوأ فيها عرش مصر — ويا اسفا على قصرها — بل في جميع ادوار حياته المباركة قد استحق شكران الوطن

امتاز رحمهُ الله بمدارك العقل السامي وبعواطف القلب الرحيم فكان على الدوام موضع المحبة والتوقير في نفوس المصريين بل في قلوب جميع المتوطنين على ضفاف النيل فلا غرو ان يكتئب مصر بكاء من يندب كارثة وطنية ، ولا ريب انهُ في جميع انحاء القطر في بيوت الله وفي مساكن الناس من احقر الدور الى افخر القصور ، ستبسط اكف الضراعة والابتهال الى مولى البرايا ان يتغمد برحمته ورضوانه ذلك الذي سيلقبهُ التاريخ حقًّا وعدلاً بهذا اللقب الجميل « ابو الامة »

واني انعي اليكم هذه الفادحة الكبرى وقلبي مفتت من الحزن حسين رشدي

وبعث جلالة ملك الانكليز الى السلطان فؤاد التلغراف التالي :

ان وفاة اخي عظمتكم المغفور لهُ السلطان السابق قد بعثت شديد الحزن في نفسي وهي خسارة جسيمة لبلاده التي قام على خدمتها بالاخلاص المتناهي واني موقن ان مجهودات عظمتكم لخير مصر وسكانها ستصادف النجاح السابق وان حكمكم الذي اتمنى لهُ طول المدى سيكون مقروناً بالخير والسعادة ويمكنكم الوثوق في منصبكم السامي بمودتي الدائمة وبتأييدي المستمر جورج الملك والامبراطور

ووردت تلغرافات التعازي من الملكة ومن رئيس وزراء الانكليز ووزير الخارجية وغيرهم من ذوي المقامات العالية

الاحتفال بدفنه

في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الاربعاء في ١٠ اكتوبر خرج نعش الفقيد العظيم من سراي عابدين يحملهُ بحارة الركائب السلطانية فاطلق ٢١ مدفعاً من قشلاق عابدين بين كل

مدفع والآخر ٢١ ثانية وثمة مدفع من القلعة بين كل مدفع وآخر نحو دقيقة وسارت الجنازة في موكب عظيم مهيب لا تدرك العين آخره ولم يسبق له نظير في هذا القطر يتقدمه الحرس السلطاني فرسانًا ومشاة ومعهم الموسيقى السواري مجللة بالسواد فجنود الاورطة الثامنة البيادة فالجنود السواري فالموسيقى البيادة فتلامذة المدرسة الحربية فتلامذة المدارس العالية وأمامهم رايات مدارسهم مجللة بالسواد فحضرات اصحاب الفضيلة العلماء الاعلام يتقدمهم حضرة صاحب الفضيلة الشيخ ابو الفضل شيخ الجامع الازهر فنعش الفقيد العظيم يحمله البحارة والى يمينه ويساره صفان من الياوران يتقدم الصف الاول منها حضرة صاحب السعادة شحاته باشا كامل ويتقدم الصف الثاني جناب الميرالاي كتبي بك الياور السلطاني ويحف به موظفو السراي السلطانية وسار وراء النعش حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الاول والى يمينه حضرة صاحب السمو البرنس محمود اخيه والى يساره حضرة صاحب السمو البرنس كمال الدين نجل الفقيد ووراءهم حضرات اصحاب السمو الامراء اعضاء الاسرة السلطانية وهم يوسف كمال وعمر طوسن ومحمد داود وكامل فاضل واسمعيل داود ومصطفى فاضل ومنصور داود وسعيد داود وسليمان داود وفخامة نائب الملك وكان لابسًا البذلة العسكرية فحضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء وحضرات اصحاب المعالي الوزراء ومعتمدو الدول وقائد الجيش البريطاني وحضرة صاحب المعالي السردار واصحاب السعادة الوزراء السابقون واعضاء صندوق الدين ومستشارو الوزارات ووكلاء الوزارات ومستشارو محكمتي الاستئناف الاهلية والمختلطة والنائبان العموميان وهم مشحونون جميعًا بشاراتهم القضائية والمستشارون السلطانيون · فاعضاء الجمعية التشريعية يتقدمهم حضرات صاحبي المعالي احمد مظلوم باشا رئيسها وسعد زغلول باشا وكيلها فالرؤساء الروحيون من جميع الطوائف فرجال القضاء الشرعي وباقي رجال القضاء الاهلي والمختلط وهم مشحونون ايضًا بشاراتهم الرسمية فضباط الجيش البريطاني والجيش المصري وبعض ضباط البحرية البريطانية وقد سار ضباط الجيش البريطاني البري امام ضباط الاسطول البريطاني في هذا المشهد · فالحائزون لنشان النيل من الطبقة الاولى أو لرتبة روملي بكلربكي من غير الموظفين والمديرون والمحافظون والمديرون العموميون والذين من طبقتهم والقناصل فالباشاوات الحائزون لنشان النيل من الطبقة الثانية غير الموظفين ورؤساء الهيئات المالية والتجارية والصناعية الرئيسية فاعضاء مجالس المديريات ومجلس الاسكندرية البلدي ومجالس بور سعيد ودمياط والسويس فنقابات المحامين المختلطة

والاهلية والشرعية فموظفو الحكومة من درجة ناظر ادارة فما فوقها فالاعيان الوطنيون والاجانب ورجال الصحافة فموظفو الحكومة من درجة وكيل ادارة فما فوقها

وظل الموكب سائراً على هذا النظام والمدافع تطلق متقطعة من القلعة والناس صامتون خاشعون كأن على رؤوسهم الطير الى ان بلغوا جامع الرفاعي وكانت الجنود البريطانية الواقفة على جانبي الطرق تحمي النعش يتناوبها كلما مرّ بفريق منها ثم تعود فتحكمها قياماً بواجب الحداد . ولما وصل الشهد الى جامع الرفاعي انضمت الجنود المصرية وتلامذة المدرسة الحربية ورجال الحرس السلطاني الى قسمين ووقفوا جميعاً في صفين مستطيلين الى جانبي الشارع فمر النعش بينهما فحيوهُ جميعاً التحية العسكرية ثم ادخل الى الجامع حيث صلي على الفقيد العظيم بامامة فضيلة شيخ الجامع الازهر ونقل بعد ذلك الى الحجرة الملاصقة للدفن لايداعهِ اللحد فتبعهُ حضرات صاحبي السمو البرنس كمال الدين نجل والبرنس اسماعيل داود وصاحبي السعادة عفيفي باشا ناظر الخاصة السلطانية ومحمد باشا فهمي وكيلها وقام ضباط الياوران بدفنهِ في اللحد الخاص بهِ

وعند ذلك اطلقت بطاريات المدافع التي نصبت خصيصاً لذلك قرب الجامع ٢١ مدفعاً تحية وتعظيماً

تأبينهُ

وقد قام شعراء مصر يؤبنونهُ وفي طليعتهم صاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وصاحب العزة حافظ بك ابراهيم قال الاول :

لهف ساري الدجى لقد اقل البد ... ر وطال السرى وغاب الهادي
لهف راعي القرى وحامي حماه ... قد خبت نارهُ بهذا الوادي
لهف شاكي الصدى اخو النيل قد با ... ت بعيد المزار عن كل صادي
من يغيث المظلوم ان بات يشكو ... وحنين عدت عليهِ العوادي
هذا طيف نهضة قد ارانا ... هُ عياناً لم يتفق في رقاد
فكأنّا من عابدين خروجاً ... نتهادى منها على ميعاد
لم يرَ الموت رأيهُ ولقضى ... حلم قد سرى باقصى البلاد

وقال الثاني :

ذكرى ما بين ضجوة وعشيّ ... شامخ من صروح آل علي

وهوى عن سماوة العرش ملك لم تتع بمهدو الذهبي
قد تساءلت يوم مات حسين افقدنا بفقدو كل شيء
اه ترى يسعد الكنانة بار بها ويقضي لها بلطف خفي
لم تكد تدرك النفوس مرادا في زمان المفوج العلوي
لم تكد تبلغ البلاد منها تحت افياء عدله الكسروي
لم يكد ينعم الفقير بعيش من نداهُ وفيضهِ الحاتمي
عجب انوت مطلع الجود يا مصر فجودي لهُ بدمع سخي
ومضى واهب الالوف فولت يوم ولّى بشاشة الاريحي
وقضى كافل اليتامى فويل لليتامى من الزمان العتي
كم تمنى لو عاش حتى يراها امة ذات منعة وورقي
عاقهُ الضعف حين شمر للاصـــلاح في ملكهِ بعزم فتي

***

حبس الخطب فيك السنة القو ل واعيا قريحة المنقري
واذا جلّت الخطوب وعمت اعجزت في القريض طوق الروي
ان شر المصاب ما اطلق الدمـــع وراع الملوهين بعي
لهف نفسي على انبساطك للضيـــف وذبالك الحديث الشهي
يحسب الدار دارهُ وهو يمشي فوق زاهي بساطك الاحمدي
خلق مثل نشأت اريج الز هر جادتهُ زورة الوسمي
واهتزاز لتعرف مثل اهتزاز الـ ـيف في قبضة الشجاع الكمي
وحياء عند العطية ينفي خجل السائل الكريم الابي
واختيار يثني عنان العوادي ووقار يزين صدر الندي
رحم الله يا حسين خلالاً فيك لم يجتمعن في نفس حي
يا كريماً حللت ساح كريم ورضيعاً حللت ساح التقي
قد كفاك السهاد في العيش فاهنأ يا اليف الضنى بنوم هني
وبمصر فاي خيط رجاء قطعتهُ رنات صوت النعي

حافظ ابرهيم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحاً ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتحبيباً الى الاذهان ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فمن برّ امنَ كلَّ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مقترنان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

الولاء في نقد ذكرى ابي العلاء

حضرة الفاضل محرر المقتطف

هذا عنوان رسالة وضعها حضرة الاديب حسن افندي حسين ونقد فيها كتاب الدكتور طه حسين في ذكرى ابي العلاء وقسم نقدهُ قسمين نقد الموضوع ونقد اللغة . ولم يسعني الوقت لقراءة القسم الاول بل قرأت الثاني لقصرهِ ولكن ان كان الاول خلا من التدقيق خلوَّ الثاني فقد كان جديراً بالكاتب لو كان اكثر تأنياً في اصدار نقدهِ لانهُ سيحسب لهُ او عليهِ

ولست اعلم ما أسمّي الغلّة التي تجعل الكاتب حقّاً يقدم على النقد قبل ان يستكمل عدتهُ فان عملاً مثل هذا يقتضي جراءة نادرة المثال لو بدت في ميادين القتال لاجتاحت امامها كل شيء . وعندي ان اصعب موقف يقفهُ الاديب الحقيقي هو موقفهُ بعد انتقاد كلمة كان يحسبها خطأً فاذا هي صواب . والمخلّص الوحيد من هذه الهلكة هي ردّ كل شيء الى اصلهِ اي تصويب الصواب وتخطئة الخطاء ولو عليهِ مع الاعتذار الكثير

انتقد صاحب « الولاء » اشياء كثيرة على صاحب « الذكرى » ليست في محلّها ولا يستلزم معرفة الصحيح من الخطإ في بعضها علماً كثيراً بل مراجعة وجيزة لقاموس من قواميس اللغة فانتقد « الجواب عن » وقال ان الصحيح « الجواب على » ولكني لم اعثر على الثانية في كتاب فصيح طالعتهُ . والذين استعملوها انما استعملوها حاملين اياها على ردّ تضمينًا اما الاولى فواردة في كل كتاب فصيح . خذ صبح الاعشى مثلاً تجد في الصفحة ٣٢٦ من الجزء السادس قولهُ « فمنهم من يحكي الكتاب الذي يقع الجواب عنهُ بنصّهِ مطلقاً » وتجد

في الصفحة ٣٤٥ من الجزء نفسه قوله : ويؤتى على ما تضمنتهُ الكتابة وما اقتضاهُ الجواب منهُ الخ » وجاء في تاج العروس « الاجابة رجع الكلام لقول أجاب عن سؤاله »

وخطأ قول صاحب الذكرى « واسبغ عليها هذا اللون » وصحتهُ بأصبغ هذا اللون . وعندي ان اسباغ اللون استعارة جميلة من اسباغ النعمة . اما الاصباغ فلا وجود لهُ في اللغة الاَّ بمعنى الاسباغ اي بالابدال كما قالوا صلغ وصلخ وسقر وصقر

وخطأ « تجارب » وصحتها بتجاريب والقاموس يجمع تجربة على تجارب دون غيرها . وقال الشاعر العربي :

تخيرن من ازمان يوم حليمة الى اليوم قد جربن كل التجاربِ

وخطأ « الاَّ وقد اخذ » وهي صحيحة لا غبار عليها . ففي كتب النحو عند الكلام على الحال انهُ يندر ذكر قد بلا واو الحال في الجملة الماضوية كقول الشاعر « وقفت بربع الدار قد غير البلى » . ويندر منهُ ذكر الواو بلا قد نحو « قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون » اي وقد اقبلوا عليهم . فان وقعت هذه الجملة بعد الاَّ نحو ما تكلَّم الاَّ ضحك وجب تجريدها منهما . ويندر اقترانها بعد الاَّ بالواو كقول الشاعر « الاَّ وكان لمرتاع بها وَزَرا » . ويندر ايضاً اقترانها بقد بلا الواو كقول الآخر

متى يأتِ هذا الموت لم يلف حاجة لنفسي الاَّ قد قضيت قضاءها

وصحتهُ « الاَّ وقد »

على ان ذكر الواو بعد الاَّ في هذه الجملة وارد في كلام الفصحاء (انظر طرائف من ادب العرب الحلقة الثانية في مقتطف مايو الماضي) ففيها قول الشعبي احد كبار علماء الكوفة « ما ذاكرتهُ (اي عبد الملك بن مروان) حديثاً الاَّ وزادني فيهِ ولا شعراً الاَّ وزادني فيهِ » . وقال الامام علي « ان الكوفة لقبَّة الاسلام ليأتينها يوم لا يبقى مسلم الاَّ وحنَّ اليها »

وخطأ قولهُ « حيامهم فيها » مستشهداً باللسان . فليعد نظرهُ على اللسان يجدها هناك بالقلم العريض . ولكن المصيبة انهُ قرأ شيئاً وترك اشياء اي قرأ اول المادة ولم يكمل الى الآخر فليقرأ سطرين فقط بعد ما قرأ

وخطأ « سواء صحت او لم تصح » وقال ان الصحيح « وسواء أصحت الخ » واستشهد على ذلك بالآية « وسواء عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم » ولكن الاستشهاد بالآية لا يدلُّ على ان ذكر همزة الاستفهام واجب . ففي أقوال البلغاء من اهل الجاهلية وصدر الاسلام

حكم كثيرة لم تذكر فيها همزة الاستفهام والقاعدة انهُ اذا كانت بعد « سواء » همزة الاستفهام فلا بدَّ من « ام » تقول سواءٌ عليَّ ازيد جاء ام عمرو . وسواءٌ عليَّ اقمتَ ام قعدتَ . واذا كان بعدها فعلان بغير همزة الاستفهام عطف الثاني « بأو » فيقال سواءٌ عليَّ قمت او قعدت . فالقاعدة هي عن ام واو لا عن الهمزة أذ هذه يجوز اظهارها واخفاؤها

وخطأٌ « بكى على ابيهِ » وقد ذكرت صراحة في القاموس . وقال الشاعر

عنيتُ على عمرو فلما فقدتهُ وجربت اقواماً بكيت على عمرو

وقال اسحق بن حسّان الخزيمي

ولو شئت ان ابكي دماً لبكيتهُ عليهِ ولكن ساحة الصبر اوسع

والماء في بكيتهُ ترجع الى الدم

وفي سورة الدخان « فما بكت عليهمُ السماء والارض وما كانوا منظَرين »

وقال المتنبي يرثي جدتهُ :

بكيت عليها خيفة في حياتها وذاق كلانا ثكل صاحبهِ قدما

وخطأٌ قولهُ « وقلما رأيت فيها بيتاً الاَّ وهو يصلح لأن يكون مثلاً سائراً » والتخطئة جاءت باردة لانها مصحوبة بنكتة في غير محلها لقولهِ « والواو هنا كالزائدة الدودية » . ولو راجع كتاباً من كتب النحو تحت باب الحال لرأى غلطهُ

وخطأٌ قولهُ « مبغض للدنيا زاهد فيها مزدر لظلالها » بدعوى ان « بغض (كذا والصحيح أبغض) وازدرى لضدان بنفسها » ولا ادري كيف فاتهُ ان لام الدنيا ولام ظلالها هما لاما التقوية يؤتى بهما لتقوية شبه الفعل على العمل وهذا شيء مشهور عند النحاة تمدُّ الاطالة فيهِ لغواً . قال في سورة ق « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب » . وفيها « ما يبدَّل القول لديَّ وما انا بظلاَّم للعبيد »

النقد جميل ولازم بشرط ان تتخذ لهُ عدتهُ وتتوافر اسبابهُ . وفي هذا النقد لم تتخذ عدة ولا تهيأت اسباب ولا انسنا الروح الجديدة التي اشار اليها ناشر النقد . فانهُ قال في كلمتهِ « ان الحقيقة تضيع بين الاغراض المتشعبة والمآرب المتباينة ونقد الذكرى يخالف هذه الروح لتجردهِ من كل غاية وانسراحهِ من كل غرض » . ولكن قراءة صفحة واحدة من الرسالة تثبت للقارىء ان حشوها التهكم والسخرية معززين بالغلط الكثير وان الخلوَّ من الغرض ليس شعارها . هذا اقل ما يقال فيها (منصف)

الليل اقبل — الصبح اقبل

يصف الشاعر في القصيدة الاولى خواطر نفسه في ليلة لم تهجع فيها عينهُ وفي الثانية يصف ما اوحاهُ اليهِ نور الشمس في صباح تلك الليلة

الليل أقبلَ والمنامُ حرامُ أتنامُ عينٌ ملؤها الآلامُ
لا تستبين العينُ نورَ رجائها والنور في عين البئيس ظلامُ
روحٌ يروعُها الأسى وشعيرها نارٌ لها بين الضلوع ضرامُ
اليأسُ رائدُها وتلك مشيئةٌ للدهر لا تقضٌ ولا ابرامُ
ما العيش الاَّ عبرة مهراقةٌ في طيّها الاوجاع والاوهامُ
داء الحياة لهُ النفوسُ فريسة ودواؤهُ بين الورى الأحلامُ
والسعد برقٌ كاذبٌ ومزارهُ لابن الحقيقة في الحياة لمامُ
انّا تكتمنا الحقيقة عنك نحظى بسعدٍ أننا أنعامُ
يابؤسَ من لا يستقر فؤادهُ يا سعدَ من يهديهِ الاَّ استسلامُ
نلهو ونضحك للوجود وليتنا نبكي الوجودَ لاننا أيتامُ
ما نحنَ الاَّ كالذئاب غيبتنا غدر وفيهِ لقطع الارحامُ
كل امرئ يلهو بعرض صديقهِ وسلاحهُ الإغراء والاقسامُ
واذا نصحتَ اخاً فانت عدوهُ فكأنما نصح الفتى إيلامُ
والشرُّ سلطانُ النفوس كأنهُ سر الحياة وللوجود دعامُ
ما تلك الاَّ خاطرات أخي امّى يقضو الفؤاد حياتهُ استقامُ
يقضي سواد الليل يرقب نجمهُ والنجم ليس بصفحتيهِ سلامُ
أُلف الهموم فليس من يشكي لناس حرقةَ في الفؤاد تُضامُ
هو ذلك الخلود الذي كن الاسى في جوفهِ ما دامت الايامُ

***

قم من سباتك وانعم الانظارا فالصبح أقبل والظلامُ توارى
لك من شعاع الشمس وحيٌ قادرٌ سلب العقول وحيَّر الافكارا
ما أنت الاَّ صورةُ ترك الالى عشقوا الطبيعة ذاهلين سكارى
تشدو على فنن الوجود مرتلاً آياتهِ وتداعب الازهارا

بين القلوب وبين صوتك الغةٌ ... وجدت لها بين القلوب قرارا
فكأن من نبرات صوتك رحمة ... جعلت ظلام اليائسين نهارا
فالبؤس بين الناس طير نافج ... أبكى قلوب اليائسين مطارا
تهتز من طرب ولست بمجتنٍ ... خمر الشفاء ولا خلعت عذارا
فكأنما القى الزمان قيادهُ ... طوعًا لوحيك لا يريد فرارا
ما تلك ألا قبلةُ الاشعار في ... ثغر الصباح تزيدهُ انوارا
لله در الشمس غازل ضوءها ... للناظرين الطير والاشجارا
كنت الجبال مع الوهاد سبيكةً ... من عسجدٍ والنهر سال نُضَارا
فعن الفؤاد تحل عقد همومهِ ... وعن الطبيعة تكشف الاسرارا
في كل قلب هائم من نورها ... امل الوصال يحرك الاوتارا
يا شمس غادرت الحقول ضحوكةً ... وتركت أمواج البحار حيارى
رقصت لنورك تستمد رضاءهُ ... عنها وقامت تبسط الاعذارا
القيت فوق الغاب ثوبك فانبرى ... فيهِ النسيم يهاوب الاطيارا
طَرِبَ الحبُّ لشدوها متبسماً ... للشمس وازداد الوفورُ وقارا
حيّ الصباحَ معدداً حسناتهِ ... وانس الهموم وصاحب الاقدارا
واذا مررتَ على الغدير فقف بهِ ... تردُ قد اتخذ الزهور شعارا
فاركع وهلّل للطبيعة خاشعاً ... واذكر هناك الواحد القهّارا

محمد تيمور

شربة زيت الخروع

زيت الخروع مفيد جدًّا وكثير من الناس يضطرون بامر الطبيب او بحكم حالتهم الصحية الى تعاطي شربة منهُ فيجدون لهُ غضاضة ورائحة كريهة يثقل على النفس احتمالها ولهذا ارى من واجبي خدمة للانسانية نشر فائدة عظيمة هدتني اليها احد اخواني تسهل شرب زيت الخروع وقد جربتها بنفسي كما جربها غيري فجاءت وافية بالغرض شافية للمرض . وذلك بان الانسان يتمضمض بقليل من السبيرتو قبل تناول الزيت مباشرة ثم يمزجهُ بالقهوة و يشربهُ فلا يشعر بشيء من الطعم الثقيل ولا الرائحة الكريهة وذلك لان اعصاب اللهاة تتخدر من السبيرتو موقتًا من غير الم أو التهاب فيهِ فليجرب ذلك من شاء الشفاء

يعقوب عبد الوهاب

الباب الرابع عشر

نباتات الصباغة

(٢)

(٦) القرطم

اسمهُ اللاتيني Carthamus tinctorius, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Carthame

نبات مصري الاصل والمستعمل منهُ ازهارهُ الجافة المعروفة باسم العصفر وهي تصبغ باللون الاحمر كلاً من الحرير والقطن . ويؤثر النور والحرارة في المادة الصابغة في العصفر لجعلانها غير ثابتة لذلك ينبغي ان لا تجفف الازهار الاَّ في الظل وان لا تستخرج منها المادة الصابغة الاَّ على البارد وان تحجب الثياب عند صبغها بها عن النور

(٧) التويه

اسمهُ اللاتيني Thuya orientalis, Vahl

اسمهُ الفرنسوي Thuya d'orient

شجرة اصلها من اميركا الشمالية ومنتشرة في جنائن هذا القطر ومغلى غصونها الصغيرة يصبغ الصوف بلون اصفر بعد معالجتهِ بتفرات البزموت والطرطير

(٨) السرو

اسمهُ اللاتيني Cupressus sempervirens, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Cyprès

شجرة اصلها من جزيرة كريت وهي ذات ثمار تحتوي على مادة قابضة ومغلى اغصانها الصغيرة مع اوراق الشط يصبغ بلون اصفر غامق . ويقال ان تلك الاغصان اذا وضعت مع الثياب صانتها من العث

(٩) البربريس

اسمهُ اللاتيني Berberis vulgaris, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Epine-vinette

انجم كثيرة الانتشار في اوربا ذات ثمار حمراء تحتوي عصيراً حمضياً وردي اللون يمكن استعماله في صبغ الصوف والحرير والنيل والقطن . وهذه الثمار لا تستعمل لهذا الغرض الاَّ اذا كانت غريضة طازجة . ويمكن استعمال جذور البربريس بدل الكركم[1] و يقال انها تفضلها . وهي تستعمل في بولونيا وآسيا لدبغ الجلود وصبغ الصوف والعاج والخشب باللون الاصفر

(١٠) الحلبة

اسمها اللاتيني Frigonella fœnum graecum, Linn.

اسمها الفرنسوي Fenugrec

نبات معروف يقال ان مغلى بذوره يصبغ باللون الاصفر الزاهي فاذا اضيف الى ذلك المغلى قليل من البطاس كان اللون اعمق قليلاً . واذا اضيف اليه سلفات النحاس صبغ الصوف بلون اخضر ثابت . او اضيف اليه املاح الحديد صبغهُ بلون زيتوني او القوه[2] صبغهُ بلون برتقالي

(١١) لسان العصفور

اسمهُ اللاتيني Fraxinus excelsior

اسمهُ الفرنسوي Frêne commun

اوربي الاصل ومغلى قشره يصبغ باللون الاسود المائل الى الخضرة اذا اضيف اليه سلفات النحاس وباللون الاخضر الداكن اذا اضيف اليه خلات الحديد

(١٢) الشاهترج

اسمهُ اللاتيني Fumaria officinalis, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Fumeterre

كثير في حقول اوربا والنبات كلهُ يصبغ باللون الاصفر الثابت الصوف والحرير

(١٣) الرمان

اسمهُ اللاتيني Punica granatum, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Grenade

---

(١) اسمهُ اللاتيني Curcuma Longa, Linn.

(٢) اسمهُ اللاتيني Rubia tinctoria, Linn

معروف واصلهُ من جنوب اوربا ومعنى قشرور اذا اضيف اليهِ سلفات النحاس صبغ باللون الاسود وتستعمل للغرض نفسهِ ازهارهُ المسماة بالجلنار

(١٤) الخاشا (الصعتر او السعتر)

اسمهُ اللاتيني Thymus vulgaris, Linn.

اسمهُ الفرنسوي Thym

منتشر في جنوب اوربا وهو يصبغ باللون الاصفر

(١٥) البنفسج

اسمهُ اللاتيني Viola odorata

اسمهُ الفرنسوي Violette

معروف واصلهُ اوربي والمستعمل ازهارهُ فيستخرج منها بالضغط عصير ازرق جميل اللون اذا وضع في قناني مقفلة صار لونهُ احمر واذا عرض للهواء عاد ازرق كما كان

احمد عبد الخالق

القاهرة موظف بقسم البساتين

الصباغة في القطر المصري

ارتنا هذه الحرب حاجتنا الى اشياء كثيرة . ولا نبالغ اذا قلنا انها ارتنا حاجتنا الى كل المصنوعات الاوربية من الابرة الى الآلة البخارية ومن المنديل الى شراع السفينة والى كل مواد الصباغة والدباغة والادوية والعقاقير

وليس في الامكان ان نشيء معامل لكل ما يصنع حتى نستغني بها عن كل البلدان ولكننا نلام كل اللوم اذا لم نهتم بصنع المواد التي موادها الاولية عندنا ونستطيع ان نعملها ولا يكون ثمنها اغلى من ثمن ما يرد منها من الخارج اذا تساوى المصنوعان في النوع والجودة

والمصنوعات التي تتوفر موادها الاولية في هذا القطر هي الصابون والزجاج والفراء والمنسوجات القطنية والصوفية والكتانية على انواعها وكل ما يصنع من الجلد والحبوب والسكر كالنشاء والارواح . واذا كثر البترول الوسخ من مناجم الزيت المصرية ورخص ثمنهُ حتى صار ارخص من الفحم الحجري زالت اكبر عقبة من سبيل الصناعات التي تقتضي قوة كبيرة . واذا استعملت قوة شلال اسوان لتوليد الاسجة الكهربائية من الجير وتتروجين الهواء استفادت الزراعة كما تستفيد الصناعة

فالصابون قوامهُ الزيت والنطرون او المادة الزيتية والمادة القلوية ولا بدَّ لهُ من الوقود للتأليف بينهما . والزيت كثير في بزر القطن والمادة القلوية كثيرة في وادي النطرون . وحطب القطن يصلح وقوداً اذا قُطِّع وضغط حتى يقل حجمهُ ويسهل نقلهُ والاَّ فلا بد من الاعتماد على الفحم الحجري او البترول الرخيص

والغراء يصنع من الجلود والاظلاف والحوافر والعظام والجبر وكلها كثيرة في هذا القطر

والخزف توجد الاتربة الصالحة لهُ في اعالي الصعيد وما يمكن ان يصنع منها لا يضاهي الخزف الصيني ولا يقابل بخزف سقز ولكن قد يجود حتى يكفي للآنية العادية من ازيار وخوابٍ وجرار وقدور وصحاف وما اشبه

والزجاج موادهُ الاصلية الرملية والقلوية كثيرة في القطر . وما يضاف اليها لتلوينها او لزيادة شفوفها ليس كثيراً الاَّ ان الخزف والزجاج يحتاجان الى كثير من الوقود وهو اساسهما فلا بدَّ من انشاء معاملهما حيث تتوفر موادهما ويتوفَّر الوقود او يسهل جلبهُ

والجلود كثيرة ولا تحتاج في دبغها وصبغها وعمل ما يعمل منها الاَّ الى الجير والقرظ وبعض الاصباغ والاعمال اليدوية ولا حاجة بها الى الوقود فلا اسهل من التوسع فيها . وتدلُّ الدلائل على ان القطر سيستغني بما فيهِ من الجلود وما يصنع منها عمَّا كان يستوردهُ من الخارج

معمل المستر ولز

وحطب القطن بدل الانثراسيت

اشارت وزارة المالية على اصحاب الآلات التي تدور بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت باستعمال الآلة التي استنبطها المستر جون ولز لتوليد هذا الغاز من حطب القطن والتبن وما اشبه . وكان المستر ولز قد دعانا منذ شهرين من الزمان لمشاهدة الآلات التي استنبطها لهذه الغاية والاعمال التي يعملها الآن فرأيناها ووصفناها في المقطم الصادر في ٢٧ اغسطس وقلنا في وصفها ما يأتي

اول هذه الاعمال استخراج الغاز من حطب القطن وغيرهِ من المواد الخشبية لادارة آلات الري التي تدار بالغاز . فان في القطر المصري كثيراً من هذه الآلات وهي تدار بالغاز المستخرج من فحم الانثراسيت . وقد كان هذا الفحم غالياً قبل الحرب وبلغ ثمن الطن منهُ الآن خمسة عشر جنيهاً . ويقول المستر ولز ان كل طنين من حطب القطن يقومان مقام

طن من فحم الانثراسيت . ولا يلزم لاستخراج الغاز من حطب القطن الاَّ مقطع صغير لغرمه وآلة اخرى يحرق فيها على اسلوب يحول كربونهُ وهيدروجينهُ الى غاز ثم ينظف هذا الغاز من المواد التي تتصعد منهُ باسراره في اسطوانين فيهما ماء يستخرج منهُ كل انواع القطران والشوائب الاخرى كما ينظف غاز الضوء . ثم يجري الغاز الى الآلة البخارية التي تدار باشعالهِ فيها

وقد اوانا المقطع الذي يقطع حطب القطن وكان يعمل بهِ اثنان واحد يضع الحطب فيهِ وآخر يقطعهُ بادارة دولاب فيهِ سكينان فيقع قطعاً صغيرة كبراجم الاصابع . وهنالك مقطع آخر تقطع فيهِ اغصان الاشجار الصغيرة نشراً . والطن من حطب القطن يبلغ حجمهُ ٢١ متراً مكعباً فيتعذر نقلهُ بسكة الحديد لكبر حجمهِ ولكن متى قطع كذلك صار حجمهُ ٣ امتار مكعبة فقط فيسهل نقلهُ بها . ويمزج مقطوع حطب القطن بمقطوع الاغصان اليابسة وتبن الفول ونحوهِ من المواد الخشبية . ويوضع هذا المزيج في فرن اسطواني من الحديد فيشتعل فيهِ اشتعالاً بطيئاً يحملهُ حلاً لتخرج المواد الغازية منهُ وتنظف وتشعل في آلاتهِ البخارية فتديرها على ما تقدم

وقد اخبرنا ان الآلة التي كانت دائرة بهِ حينئذٍ مضى عليها دائرة سبعة وعشرون يوماً . ثم اطفأ الغاز فوقفت الآلة ورأينا محل اشتعالهِ فيها لا يزال نظيفاً فهو انظف من غاز الضوء الذي تضاء بهِ شوارع العاصمة الآن . ثم اوقد الغاز فدارت الآلة حالاً

والآلة التي يستخرج بها هذا الغاز من حطب القطن رخيصة يبلغ ثمنها من مئة جنيه الى ١٥٠ جنيهاً فلا يصعب على كل من عندهُ مكنة تدار بغاز الفحم ان يبتاع آلة منها

ويظهر لنا انهُ سيكون للمواد القطرانية التي تفصل عن هذا الغاز وقت تنظيفهُ شأن كبير في الصناعة والزراعة والطب والحرب اي في استخراج الاصبغة والاسمدة والادوية والمواد المتفجرة . وعلى الاقل في استخراج القطران الذي يستعمل في رصف الشوارع . فاذا جمعت هذه المواد في المغرب حيث تستعمل هذه الآلات فلا يبعد ان تباع بما يعادل جانباً كبيراً من نفقات هذه الآلات . فان غاز الضوء يستخرج من الفحم الحجري في بعض البلدان الاوربية وينظف ويطلق في الهواء ويكتفى بالقطران الذي يستخرج منهُ وما فيهِ من المواد الكيماوية لان قيمتها تزيد على ثمن الفحم الحجري ونفقات استخراج الغاز منهُ

ومعمل المستر وز كبير كثير الفروع وما استخراج الغاز الاَّ فرع واحد من فروعهِ . فانهُ يشتغل ايضاً بعمل الورق من الحلفاء ونحوها وقد اوانا بعض الورق الذي صنعهُ وهو من

النوع الاصفر الذي يستعمل في اللف . اما الورق الابيض فلا بد لهُ من آلة كبيرة لا يقل ثمنها عن عشرين الف جنيه . ويشتغل ايضاً بتحويل الحطب على انواعهِ الى فحم نقي على اسلوب علمي يفصل بهِ الكربون (المادة الفحمية) عما يخالطهُ من المواد . وقد ارانا جانباً من هذا الكربون وهو نقي جداً وارانا ايضاً بعض ما استخرجهُ عند تحويل الحطب الى كربون من المواد الكيماوية كسبيرتو الخشب والحامض الخليك وخلات الجير وسوائل كثيرة من نوع الحامض الكربوليك . وعندهُ خزانة كبيرة فيها حناجر كبيرة مملوءة من هذه المواد . وتدل كتبهُ الكيماوية والآلات التي ركبها والمواد التي استخرجها على انهُ من العلماء الكيماويين الذين قرنوا العلم بالعمل ومن المهندسين الذين اشتغلوا بعمل الآلات الميكانيكية

ومتى ثبت ان الغاز الذي يستخرجهُ اوفر من غاز الانثراسيت وان المواد الكيماوية التي يستخرجها يزيد ثمنها على نفقات استخراجها اي متى ثبت بالامتحان المدقق ان عملهُ صناعي تجاري رابح فلا بد من الاخذ بهِ وقسمته الى قسمين كبيرين الاول لآلات استخراج الغاز فتقام لها ورشة في هذا القطر تصنع فيها وتباع لطلابها من اصحاب المكنات التي تدار بغاز الانثراسيت والثاني لاستخراج المواد الكيماوية صناعية كانت او زراعية او طبية او حربية وبذلك تجاري مصر البلدان الراقية في استخراج هذه المواد النافعة مما في بلادها

باب تدبير المنزل

قد خصصنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

غلاء المعيشة في مصر

نشرت مصلحة الاحصاء العام جدولاً قابلت فيهِ اسعار بعض المواد الغذائية والحاجيات الضرورية في شهر اغسطس الماضي بمثلها في شهر اغسطس في العام الماضي وشهر اغسطس سنة ١٩١٥ ورمزت الى اسعار هذه المواد والحاجيات في شهر يوليو سنة ١٩١٤ اي قبل الحرب تماماً برقم ١٠٠ فما زاد عنهُ كان زيادة في الاسعار وما نقص عنهُ كان نقصاً فيها . وهذا هو الجدول المذكور

في العاصمة بالمفرق

	١٩٠٥	١٩٠٦	١٩١٧
لحم الضأن	١٠٤	١٠٣	١٥٨
لحم البقر	...	١٢٧	١٥٤
لحم العجول	٨٩	١٠٧	١٤٣
لحم الجاموس	٩٦	١٠٨	١٠٥
الديك الرومي	٦٩	٨٣	١١١
الدجاج	٧٤	٦٦	١١٤
الحمام	٧٥	٧٨	١٠٧
الارانب	٦٢	٦٣	١١٥
البيض	١٠٠	١١٣	١٧٤
الزبدة	٩٧	١٠٤	١٢٥
دقيق القمح	١٠٠	١٣١	٢٠٠
الخبز الرومي	٩٧	١١٠	١٦٩
الخبز البلدي	٨٣	١٠٦	١٦٧
الارز الرشيدي	٩٠	٩٠	١٣٩
الزيت	٩٢	١٠٨	١٧٥
الحناء	٧٣	٥٩	٨٦
الصابون البلدي	١٠٠	١٤٧	٢٢٥
السبيرتو	١٠٠	١٥٠	١٥٠
زيت البترول	١٢٤	١٧٧	٣١١
متوسط ارتفاع الاسعار	٩١	١٠٧	١٥٠

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية في شهر اغسطس المذكور ١١٠ في سنة ١٩٠٥ و٢٩ في العام الماضي و١٨٤ في هذا العام فارتفاع الاسعار في الاسكندرية اعظم منهُ في العاصمة ولكن المرجح ان هذا الارتفاع ناجم عن كون الاسعار في الاسكندرية كانت اوطأ قبل الحرب منها في العاصمة

في العاصمة بالجملة

	١٩١٥	١٩١٦	١٩١٧
السكر	١٤٥	١٤٥	١٥٧
العسل	٨٧	٨٠	١٠٢
دقيق الحنطة	٩٩	١٣٥	٢١٨
دقيق الذرة	٨٩	١٠٨	١٥٠
الفول السوداني	١٠٠	١٠٣	١٧٦
الطماطم	٨٠	٦٤	١٨٤
البصل	٦٨	٤٩	٩١
الموز	٨٣	٨٣	١٠٠
البلح	١١٨	١٢٤	—
الزيت	٨٩	١٠٨	١٧٠
البيض	١١٠	١٢٣	١٨٥
السمن	٩٣	١١٠	١٤٣
الحناء	٦٢	٥١	٨٢
الارز الرشيدي	٨١	٩٤	١٧١
الصابون البلدي	٩٧	١٧٩	٢٢٨
السجاير	١٢٠	١٨٦	١٨٦
زيت البترول	١٢٤	١٧٥	٢١١
متوسط ارتفاع الاسعار	٩٧	١١٣	١٦٠

يقابل هذا المتوسط في الاسكندرية ٩٨ في سنة ١٩١٥ و ١١٣ في العام الماضي و ١٦٣ في هذا العام

والحالة في الارياف ليست اصلح منها في القاهرة والاسكندرية بل قد غلا ثمن كل ما يباع فيها غلوًّا فاحشًا فالثور الذي كان يباع بخمسة عشر جنيهًا يتعذر شراؤه الآن باقل ثلاثين جنيهًا الى اربعين ورطل الزبدة الذي كان يباع بثلاثة غروش الى اربعة يساوي الآن ثمانية غروش او تسعة . وكانت تسع بيضات تباع بغرش والآن تباع الثلاث

بخرش وتضاعف ثمن الحنطة واكثر الحاجيات ولكن المزارعين خزنوا مؤونتهم من الذرة والقمح والكشك على جاري عادتهم وبعضهم خزن جانباً من محصولهِ وهو يبيعهُ الآن بثمن غالٍ. فلم يشعر بالضيق الاَّ الاجراء الذين يعتمدون مياومة ولا زراعة لهم يخزنون منها مؤونتهم

الرياضة

منافعها ومضارُّها

عضلات الجسم تبلغ نحو نصف زنتهِ وفي تولُّد قوة تظهر بشكلين الحرارة والعمل. ووظيفتها تمكين صاحبها من الحركة مشياً وركضاً وقياماً وقعوداً ونحو ذلك فضلاً عن انها هي التي تقوم بكثير من وظائف الجسم كالدورة الدموية والتنفس وحركة المعدة والامعاء. وهي تولد الحرارة على الدوام في اثناء تقلُّصها وتمددها. فهي لذلك بمثابة فرن للجسم تحرق فيهِ فضلات الغذاء التي ينبذها الدم. فاذا اكل الرجل من الطعام اكثر مما يلزم جسمهُ واصبح دمهُ مشبعاً بالغذاء كانت النتيجة احد امرين فاما ان تخزن الفضلة بشكل دهن واما ان تتولى العضلات حرقها

العضلات آلة الرياضة ويظهر لنا عظم شأن الرياضة متى علمنا ان العضلات تتغذى من الغذاء وهي متحركة اكثر مما تتغذى وهي ساكنة. وعليهِ يجب على كلٍّ منا ان يأكل بنسبة حاجتهِ الفسيولوجية اي بنسبة ما يحتاج اليهِ كل عضو من اعضائهِ في القيام بوظيفتهِ. فالذين تقضي عليهم اعمالهم بكثرة الحركة يحتاجون من الطعام الى اكثر مما يحتاج اليهِ الرجل الساكن الذي لا يكاد ينتقل من مجلسهِ في عملهِ. ثم ان عضلات الرجل الساكن تحرق فضلات الغذاء ابطأ مما تحرقهُ عضلات الرجل ذي الحركة وعاقبة ذلك ان الرجل الساكن اكثر عرضة للتسمم بهذه الفضلات من الآخر. واعراض هذا التسمم هي سرعة الشعور بالتعب والكسل والصداع ثم تتدرج الى النقرس والروماتزم وغيرهما من الادواء التي من نوعها

فالرياضة تنشط الدورة الدموية واعضاء الافراز اي الجلد والكليتين فتساعد الجسم بذلك على التخلص من الفضلات الضارة بسرعة. وتنبه الكبد الى العمل والكبد اهم عضو في الجسم لتنقية الدم

والغالب ان يشعر المرء بعد الرياضة بانبساط وانشراح لم يكونا لهُ قبلها وسبب ذلك ان ما نشعر بهِ عادة من الانقباض والاشتياء ناشئ عن تجمع المواد السامة في الجسم فالرياضة تبدد هذه السموم سريعاً بتنشيط الدم ومفرزات الجسم على العمل كما تقدم

على ان الرياضة على منافعها كثيرة الضرر اذا جاوزت حدّ الاعتدال . والعيفة منها تجهد بعض اعضاء الجسم الرئيسة كالقلب والاوعية الدموية اجهاداً محفوفاً بالخطر الكثير . وهذا الخطر يزداد كلما تقدم الانسان في السن . وعليه كثيراً ما تجد مشاهير اهل الرياضة كالمصارعين ولاعبي الجمنستيك والمعدائين مصابين بامراض في القلب ومعرّضين كثيراً لانفجار الاوعية الدموية . وقل تسمع بواحد منهم عمّر طويلاً

وسأتي فيما بعد على انواع الرياضة مبينة بالرسوم الكاملة

مرض الشرايين

الشرايين انابيب مرنة تحمل الدم من القلب وتوزعهُ على الجسم ولكنها تفقد مرونتها تدريجاً بتقدم العمر فتغلظ وتبيت قابلة الانقصام . وليست الشيخوخة في حقيقة الامر الاّ عرضاً من اعراض مرض الشرايين فاذا كانت الشرايين لينة مرنة فالجسم في الغالب صحيح غضّ واذا كانت قاسية جافة فالجسم فانٍ قبل اوان الفناء

ولا يمكن تعيين الزمان الذي تأخذ الشرايين فيهِ تفقد مرونتها فان هذا كلهُ يتوقف على تاريخ العائلات واساليب المعاش . فانك قد تجد شاباً ابن ثلاثين لهُ شرايين الشيوخ وشيخاً فانياً لهُ شرايين الشباب

واذا غلظت جدران الشرايين واشتدّ ضغط الدم في اوعيتهِ اثر ذلك في الصحة وطول العمر من جهتين : فاما ان يزيد عمل القلب فتفضي كثرة عملهِ الى تضخمهِ فتمدده . واما ان ينفجر شريان في الدماغ فتحدث السكتة الدماغية او الموت فجأة

وقد يكون المرء مصاباً بمرض شدة ضغط الدم من غير ان يشعر بهِ ولكنهُ قد يضطر احياناً الى فحص جسمهِ عند طبيب كما لو اراد التأمين على حياتهِ في بعض شركات التأمين فيرفض بدعوى ان شرايينهُ متصلبة ودمهُ عالي الضغط والاّ فاذا قبل فرض عليهِ وهو ابن اربعين مثلاً ان يدفع من الاقساط السنوية ما يدفع ابن خمسين اي انهُ في نظر الطب اكبر مما هو بعشرين وفي نظر شركات التأمين معرض للموت مثل ابن خمسين

وليس من السهل في احوال كثيرة معرفة سبب التصلب ولكن يقال بوجه عام ان غلظ جدران الشرايين وشدة ضغط الدم ناشئان عن دوران بعض السموم مع الدم في الجسم . والمرجح ان اكثر هذه السموم تدخل الدم بطريق القناة الهضمية اما بسبب كثرة الاكل او سوء التغذية او السكر او قبض الامعاء او سوء الهضم وما اشبه ذلك

واساس العلاج في هذا الداء حفظ ضغط الدم واطئاً خشية توقف القلب عن العمل فجأةً لفرط انفعالهِ او خشية السكتة الدماغية . ومما يوصي بهِ الاطباء الاشخاص المعرضين لهذا الداء الامتناع عن شرب المشروبات الروحية او اقلالها كثيراً واقلال شرب الشاي والقهوة وغيرهما من المنبهات . وتقليل الطعام عند الاكل ومضغهُ جيداً . والامتناع عن الالعاب التي تقتضي حركة عنيفة . وحفظ حالة الامعاء طبيعية . واذا كان المصاب سميناً زائد السمن وجب ان يقلل من سمنهِ ما امكن

العَسَر

العَسَر استعمال اليد اليسرى اكثر من اليمنى . وقد ظُنَّ خطأً انهُ في الصغار نذير ببلادة الفهم او البله فلذلك يبذل الوالدون جهدهم في منع اولادهم ان يتعاسروا . وحقيقة الامر ان سبب العَسَر نمو اجزاء الدماغ التي تتسلط على اليد اليسرى قبل اجزائهِ الاخرى . والغالب ان يعنى الوالدون مزيد العناية باولادهم الذين يتعاسرون فيبالغوا في تعويدهم استعمال اليمنى ايضاً حتى اذا شبوا رأيتهم يستعملون كلتا يديهم على السواء لا فرق في الرشاقة واللباقة بين يد واخرى

زمان تعليم الصغار

يجب ان لا يشرع في تعليم الاولاد القراءة سواء كان ذلك في منازلهم او في المدارس قبل بلوغهم السابعة من سنهم . وليس بلوغ هذه السن بمقتصر على تعليمهم الترتيب والنظافة والنظام في كل شيء . وان المرء ليدهش من سرعة تعلم الصغار ما يراد تعليمهم اياهُ وتمرينهم عليهِ . فانك اذا وقّتَّ لهم الاكل مثلاً لا يلبثون ان يجروا فيهِ على ميقات فلا يطلبوا طعاماً قبل الاجل المضروب . واساس طريقة التعليم المعروفة باسم كندرجارتن هو تعليم الاولاد كيف يشاهدون ما حولهم وينظرون اليهِ ويتمعنون فيهِ ويبنون الاستدلالات عليهِ . اما اذا جاوز الولد السابعة من عمرهِ فان دماغهُ يقوى بعض الشيء على احتمال بعض التعب فالواجب حينئذٍ ان يمرن على الدرس بانتظام والاَّ نشأ كسولاً مهملاً . ومن غلطات الوالدين ان يمرّنوا اولادهم على الكلام الفارغ وسرعة الجواب ومراجعة ما يسمعون من الاقوال وترديدها كما ترددها الببغاء ظنّاً منهم ان ذلك دليل الخلق الفادر والذكاء الطارق وانما هو دليل دماغ قلق اذا سهل انطباع الاثر عليهِ فان امحاءهُ اسهل . وان بطء الجواب في الاولاد خير من سرعتهِ لانهُ يدلُّ على التفكير فيما يطرح عليهم من المسائل

باب الزراعة

محصول الحبوب في العالم

اصدر المعهد الزراعي الدولي تقديره الرسمي العام لمحصول الحبوب في العالم هذا العام وقد قدرت فيه محاصيل الحبوب كما يأتي :

القمح

١٣٣٤٨٥٠٠٠ قنطار انكليزي (١١٢ رطلاً) في كندا بزيادة ١٣٪ على المحصول الماضي

و ١٣٣٩٣٢٠٠٠ قنطار من القمح الربيعي في الولايات المتحدة بزيادة ٥٨٪ في المئة على المحصول الماضي

و ١٥٩١٩٠٠٠ قنطار في الجزائر بزيادة ١٩٪ في المئة على المحصول الماضي

الجاودار (فصيلة من القمح)

٢٠٩٨٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ٤٤٩٪ في المئة على المحصول الماضي

الشعير

٢٥٤٢٢٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ٤٣٩٪ في المئة على المحصول الماضي

و ١٤٢٣٢٠٠٠ قنطار في الجزائر بنقص ٧٪ في المئة على المحصول الماضي

الشوفان

١٢١٣٨١٠٠٠ قنطار في كندا بزيادة ٩٣٪ في المئة على المحصول الماضي

و ٤٨٨٠٠٣٠٠٠ قنطار في الولايات المتحدة بزيادة ٣٢٤٪ في المئة على المحصول الماضي

و ٥٤١٣٠٠٠ قنطار في الجزائر بزيادة ٤٤٣٪ في المئة على المحصول الماضي

الذرة

١٦٢٤٠٠٢٠٠٠ بزيادة ٣٥٧٪ في المئة على المحصول الماضي

وقدر جملة محصول القمح في اسبانيا وفرنسا واسكتلندا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة والهند واليابان والجزائر بـ ٨٩٣٢٢٦٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٣٪ في المئة عن جملة المحصول في البلاد المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الجاودار في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة ٤٤٩٧٥٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٧٠١ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشعير في اسبانيا وارلندا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة واسكتلندا واليابان والجزائر ١٩٨٩٨٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٢٠٤ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الشوفان في اسبانيا وسويسرا وكندا والولايات المتحدة ٥٧٠٤٤٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٩٠٩ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

وقدر جملة محصول الذرة في اسبانيا وسويسرا والولايات المتحدة ١٦٣٦٩٩٨٠٠٠ قنطار اي بزيادة ٢٥٠٣ في المئة عن جملة المحصول في البلدان المذكورة في العام الماضي

النجاح في الزراعة

كل احد مهما كان جاهلاً يستطيع ان يزرع الارض ويجني غلتها حتى زنوج افريقية يعلمون ان يلقوا البذار في الارض فينمو ويجني من الحبة الواحدة حبوب كثيرة. ولكن هذه المعرفة لا تكفي الذين يريدون ان يستغلوا من الارض اقصى ما يمكن ان تغلهُ. فان الرجل الساذج الذي يجهل اساليب الزراعة العلمية اذا جنى من فدان اردبين من القمح فالذي اتقن الزراعة علماً وعملاً قد يجني منهُ ستة اراديب او سبعة. وقس على ذلك سائر المزروعات

ولا يخفى ان هذا القطر قد ضاق بسكانهِ او كاد يضيق والمرجع انهُ يمكن ان تزاد اراضيهِ الزراعية مليون فدان او مليوني فدان بما يصلح من الاراضي البور وما يجفف من البحيرات. ولكن هناك حداً لا تتعداهُ الاراضي الزراعية لان على جانبي الوادي جبالاً لا تعلو المياه اليها والجانب الغربي من الوجه البحري صحارى قاحلة لا يحتمل ان يزرع منها الاَّ ما جاور الاراضي المزروعة. والسكان يزيدون على نسبة هندسية وتبلغ زيادتهم الآن نحو مئتي الف نفس في السنة فبعد عشر سنوات يصير عددهم نحو ١٥ مليوناً وبعد عشر سنوات اخرى يصير عددهم اكثر من ١٧ مليوناً فلا تتيسَّر لهم المعيشة ما لم يجنوا من الارض كل ما يمكن ان يجنى منها

والزراعة اساس الصناعة. والبلاد التي تهمل زراعتها في سبيل اهتمامها بالصناعة تندم

غاية التدهم اذا وقعت في شدة كما في الزمن الحاضر فلا يحسن ان نهتم بالصناعة اهتماماً يمنعنا من الاهتمام بالزراعة واجتناء كل ما يمكن اجتناؤهُ من الارض

الزرنيخ في الزراعة

كنت منذ نحو اربعين سنة نجول في سهل البقاع على مقربة من قلعة بعلبك فوجدت قطعاً من الزرنيخ استغربنا وجودها هناك ولم نكن نعلم ان الزرنيخ موجود في اكثر الاراضي الزراعية وان منهُ للزراعة فائدة كبيرة . وقد قرأنا الآن مقالة في هذا الموضوع للدكتور غريفس الاميركي في المجلة العلمية الشهرية خلاصتها انهُ جُربت تجارب زراعية كثيرة لمعرفة مقدار الزرنيخ في التربة وفائدته للزروعات وكان يضاف الى الارض بمقادير مختلفة فظهر انهُ يفيد في زيادة نمو المزروعات كأنهُ يقويها على النمو وتناول الغذاء كما يقوي الذين يعتادون تعاطيهُ . ولا يعلم سبب ذلك لانهُ غير مغذٍ بالذات ولكن يرجح انهُ يميت المكروبات التي من الانواع الحيوانية (بروتوزوى) ويقوي المكروبات التي من النوع النباتي (باشلس) وهذه الاخيرة هي التي تقدم الغذاء للنبات والاولى تفترس جانباً كبيراً منها فتضعف فعلها فهو مثل احماء التربة واستعمال بعض الغازات السامَّة على ما اشار بهِ رسل وهتشنصن كما ابنا غير مرة . وعليهِ فاذا اضيف قليل من مركبات الزرنيخ الى الارض او الى السماد الذي تسمد بهِ كانت منهُ فائدة زراعية في زيادة خصب المزروعات

العلم في الزراعة

نشر ديوان الزراعة والصيد في البلاد الانكليزية منشورات قال فيها ان تربة البلاد الانكليزية اجود من تربة المانيا ومع ذلك فمئة فدان من المانيا ينتج منها ما يكفي ٧٠ الى ٧٥ من النفوس واما مئة فدان في البلاد الانكليزية فلا ينتج منها الاَّ ما يكفي ٤٠ نفساً وما ذلك الاَّ لتقدم علم الزراعة في المانيا عليهِ في انكلترا وكثرة الاعتماد على الاسمدة الصناعية في المانيا . والآن قد بُذلت الهمَّة في البلاد الانكليزية لاتقان الزراعة والاكثار من الاسمدة الصناعية

حفظ الاثمار والخضر

لا يجهل الناس كيفية خزن القمح والفول والعدس والشعير وما اشبه من الحبوب اليابسة حتى لا تؤكل كلها في الاشهر التي تجني فيها بل يمتد استعمالها في السنة كلها من

موسم الى موسم . ولكنهم يجهلون غالباً كيفية خزن الاثمار والخضر فاذا جاء اوان التين اكلوهُ بضعة اشهر ثم لا يرون تينة الى ان يأتي موسم آخر منهُ وقس على ذلك العنب والبرتقال والشمام والبطيخ والمشمش والتفاح والخضر على انواعها كالطماطم والخيار والكوسى والسلق والباميا والقرنبيط . لكن اهل التدبير منهم تمكنوا من تقديد اكثر الاثمار والخضر حتى تجف بزوال الماء منها . فاذا نقعت في الماء عادت الى ما يشبه طراوتها الاولى . او عقدوها بالسكر اذا كانت من الاثمار الشديد الحلاوة كالتين والكرز او حفظوها في علب لا يدخلها الهواء كالبازلاّ والطماطم وذلك لان الشهور التي تكثر فيها هذه الاثمار والخضر قليلة في الغالب في البلدان الباردة وقلما يبقى منها شيء اخضر الى فصل الشتاء الطويل . اما نحن في هذا القطر فشتاؤنا قصير جدًّا و بعض جهات القطر المصري لا شتاء فيهِ . ولذلك تطول مدة الفاكهة المصرية كالتين والعنب والشمام والبطيخ . والخضر فلا تنقطع فترى البازلاّ والطماطم والباميا والخيار والكوسى والسلق والسبانخ والكرفس وما اشبه في اكثر السنة . واذا سهلت وسائل النقل في المستقبل وزادت سرعتهُ فلا بدَّ من ان تروج سوق الخضر والفواكه المصرية في اوربا ولاسيما في شهور الشتاء والربيع قبلما تظهر الخضر والفواكه الاوربية . وما لا يمكن نقلهُ منها اخضر لانهُ سريع التلف يرسل مقدداً اذا انشئت لهُ معامل لتقن تقديدهُ ووضعهُ في آنية من الزجاج او الصفيح . والمرجح عندنا انهُ سيكون لذلك تجارة واسعة بعد سنين قليلة

المواشي والزراعة

ان غلاء اللحم حمل كثيرين من اصحاب المواشي على بيع ما عندهم من العجول والثيران للذبح . نعم ان الحكومة تمنع ذبح العجول الصغيرة ولكنها لا تمنع ذبح العجول الكبيرة فقلَّت هذه العجول وصرنا نخشى ان الثيران الموجودة الآن في القطر لا تكفي لحرث اطيانهِ . ولا سبيل لجلب الثيران من بلاد اخرى ولا لجلب آلات بخارية للحرث . ولما قلت عجول البقر التي يمكن ذبحها كثر ذبح عجول الجاموس ولذلك فستقل الجواميس ايضاً كما قلت البقر ومن قلتهما ضرر آخر غير قلة المواشي اللازمة للحرث وهو قلة السماد البلدي الذي عليهِ اكثر اعتماد الزراعة . ولا علاج لذلك الآن الاَّ الاقلال من ذبح الحيوانات على انواعها . ولا ضرر من هذا الاقلال لان الحبوب والالبان تغني عن اللحم في الطعام كما هو ثابت علماً واختباراً

باب التقريظ والانتقاد

ديوان ابن الرومي

ابن الرومي هو احد كبار الشعراء المولدين عاش في القرن الثالث للهجرة وكان معاصراً للبحتري ومات قبلهُ بسنة . وكان يسكن بغداد ولهُ شعر آية في الرقة والانسجام وكثير منهُ محفوظ متداول كقولهِ يصف السحاب

وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً على الجوّ ذُكناً والحوائي على الارضِ
يطرزها قوس السحاب بأخضر على احمر في اصفر اثر مبيضّ
كأذيالِ خود اقبلت في غلائلٍ مصيغة والبعض اقصر من بعضِ

اهدي الينا الجزء الاول من ديوانهِ مع شرح لهُ لحضرة الشيخ محمد شريف سليم المنشئ بوزارة المعارف . وقد جاء في مقدمة الشارح ان الديوان طبع على نفقة حضرة صاحب السعادة احمد حشمت باشا « خدمة الآداب العربية وحفظاً لآثار شاعر حلّ بالمكانة السامية في عالم الادب من ان تضيع » الخ

اما « الآداب » العربية فقد خدمت ولا ريب لان ديوان ابن الرومي غير متداول . ولا يخفى ان المراد «بالآداب» هنا كتب الادب التي يعبّر عنها الافرنج بكلمة Literature واما « الآداب العمومية » فلم تخدم بنشر هذا الديوان ونريد بالآداب العمومية ما اصطلح الناس على تسميتهِ الاخلاق بهِ . ولا نريد الاطالة في هذا الشأن فان الشارح كفانا مؤونة ذلك في مقدمتهِ بقولهِ :

« بقيت لنا مسألتان هامتان جدّا الاولى اقذاع ابن الرومي والفاحشة في كثير من اشعارهِ واتيانهُ بالفاجرات التي يحمرّ لها وجه الادب خجلاً » . ثم اعتذر عن نشرها بقولهِ : فلو كنا في مقام اختيار غُرر الاشعار لكان حقّاً علينا ان نطهّر ديوانهُ من تلك المنكرات ولكنا في مقام الرواية لما اثر عن ذلك الشاعر فلم يكن لنا مندوحة من حفظ المأثور عنهُ ليستنبط منهُ ما كانت عليهِ الحال الادبية في عصر الرجل والفائدة التي تكتسب من ذلك جليلة جدّا » الخ

ولكن نشر اشعار ابن الرومي التي تضمنت فحش القول وهجرهُ لا يلزم ان تدلّ على

الحال الادبية في عصره فقد كان البحتري من معاصريه وشتان بين الاثنين في الادب العالي . وعندنا انهُ كان يجب حذف هذا الشعر الخالي غير مأسوف عليهِ ويبقى الاصل في مكتبة عمومية كدار الكتب السلطانية ليرجع اليهِ علماء الاجتماع اذا رأوا فيهِ فائدة في بحثهم

نظم المتنبي بعض الشعر البذيء الذي لا تعدُّ بذاءتهُ شيئاً مذكوراً في جنب ما نظم ابن الرومي . فلما تولّى بيت اليازجي شرح الديوان حذفوا منهُ كلّ « كلمة خبيثة كشجرة اجتثت من فوق الارض » . فلمَ لا يصنع بشعر ابن الرومي ما صنع بشعر المتنبي

ثم اننا لا ندري لماذا تعب حضرة الشارح في نسخ الديوان عن نسخة كثيرة الخطأ واخذ على نفسهِ تصحيحهُ وهو مطبوع في بلاد الهند على ما جاء في كتاب « اكتفاء القنوع بما هو مطبوع »

اوراق متناثرة

كتاب يتضمن « اشتاتاً موجزة نشر معظمها في الصحف والمجلات السائرة » من قلم حضرة الاديب سليم افندي عبد الاحد . وقد توخى في جمعها « اسلوب الغرب في الانشاء وجمع بينهُ وبين اسلوب العرب » كما قال في المقدمة . وهاك نبذة منهُ نموذجاً لسائر ما تضمنهُ وهي نبذة في رثاء زنبقة مترجمة بتصرف جاء منها :

« لست اعلم ايتها الزنبقة البيضاء ما تنطوين عليهِ من اسرار الحياة الغامضة ولكنني اعلم أنكِ كنتِ حيةً تتشقين الهواء النقي وتتمتعين باشعة الشمس الدافئة . واراكِ الآن قد اطبقتِ اجفانكِ وحنيتِ رأسكِ لانكِ اتممتِ ما عينتهُ لكِ الطبيعة في تربتكِ المهجورة . فطويتِ اجنحتكِ البيضاء واقصيتِ عنكِ النحلة والفراشة

أجل ايتها الزنبقة . لكم اساء اليكِ الانسان فاقتطف رفيقاتكِ بيديهِ ودامسهنَّ برجليهِ وهو يطارد الفراشة من زنبقة الى زنبقة ومن زهرة الى اخرى . اما الآن وقد ذويتِ ولفحتكِ اشعة الشمس المحرقة فقد آن لكِ ان تطأطئي هامتكِ الجميلة وتنضمي الى رفيقاتكِ اللواتي سبقنكِ . وليس لنا طلبةٌ اليكِ سوى ان تصفحي عن بساعتنا اليكِ فاننا انتشقنا عطركِ واهملناكِ عن جهل ولم نشعر بخطإنا الاَّ عند ما زالت رائحتكِ الذكية وانقطع ارتيادكِ الطيّب من الحقول التي كانت تزدان بكِ

ان الانسان ايتها الزنبقة يموت فتفسد رائحتهُ واما انت فانكِ تموتين ورائحتكِ تعطر تربتكِ . فاين منكِ الانسان المتجبر الممدودة انفاسهُ المحصاة شعور رأسهِ ؟

يقول العلماء ان المادة لا تقبل الفناء ولا يضمحل . فاذا كان الامر كذلك فماذا عسانا ان نقول ايتها الزنبقة عن الحياة التي هي اثمن بكثير من المادة ؟ هل تفنى حياتك بذبولك وموتك ام هي خالدة في عالم آخر تشعر كما تشعر وتحس كما نحس ؟

مدينة الفسطاط

ولفتنا على المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات الاثرية لصاحبها الفاضل يوسف افندي احمد المنشي في لجنة حفظ الآثار العربية بوزارة الاوقاف وموضوعها مدينة الفسطاط او مصر القديمة . وقد القاها على بعض مدرسي المدرسة الخديوية وطلبتها اثناء زياراتهم للاماكن الاثرية العربية وتكلم فيها عن مدينة الفسطاط وما جرى فيها من الحوادث الهامة وما كانت فيها من الصناعات والعائر العربية من مساجد ومدارس وخوانق ورباط وزوايا وبيمارستانات وحمامات وخانات وفنادق وقصور ومعامل ومعاصر واسواق الى غير ذلك من آثار الحضارة والمدنية

وقد جعلهُ في جزئين طبع الاول منهما اما الثاني فلا يزال تحت الطبع . وثمن الجزء اربعة غروش صاغ

بطرس الاكبر وولدهُ

ترجم هذا الكتاب في ادارة الهلال وجاء في دباجتهِ : « ولما كانت احوال روسيا اليوم قبلة انظار العالم اجمع رأينا ان نقدم الى الجمهور موجزاً من اعمال بطرس الاكبر ولا سيما ما وقع لهُ مع ولدهِ الكسيس معتمدين على ما بسطهُ المسيو دي فوجويه الكاتب الفرنسوي الشهير »

تاريخ الاتراك العثمانيين

اهدى الينا حضرة الفاضل حسين افندي لبيب المدرس في مدرسة القضاء الشرعي الجزء الاول من هذا التاريخ منقولاً عن الانكليزية . والكتاب ثلاثة اجزاء قصر الاول والثاني منها على التاريخ السياسي والاجتماعي الى القرن التاسع عشر للميلاد . واما الثالث فوقفهُ على تاريخ اللغة التركية وادبائها وشعرائها ووصف الحكومة العثمانية الى غير ذلك . والجزء الذي بين ايدينا يبحث في حكم السلاطين العثمانيين من ارطغرل الى محمد الثاني فاتح القسطنطينية

ذكرى المولد النبوي

رسالة تتضمن خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الاسلامية وكليات الاسلام وحكمة تأليف السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار وناظر دار الدعوة والارشاد. نشرت في مجلة المنار تباعاً ثم جمعت في رسالة واحدة وقد افرغ فيها حضرة مؤلفها الفاضل خلاصة مباحثه الواسعة وآرائه السديدة فجاءت من خير ما كتبهُ في المواضيع الدينية والاجتماعية. تباع في مكتبة المنار بشارع عابدين نمرة ٢٥ وثمن النسخة ٤ غروش صاغ

نشرة دار الكتب السلطانية

اصدرت دار الكتب السلطانية « نشرة عن الوارد لرصيد الكتب في سنة ١٩٦٦ » وفيها اسماء هذه الكتب مرتبة بحسب مواضيعها وفهرست اسماء المؤلفين المذكورين فيها وهي بالعربية والانكليزية والفرنسوية

مختصر تاريخ المانيا

يتضمن تاريخ المانيا منذ اقدم الازمنة الى نشوب الحرب الاوربية الكبرى في اربعة عشر فصلاً وهو مزين بالصور وقد ترجم في ادارة الهلال

الحان الكنيسة القبطية

محاضرة تاريخية فنية القاها حضرة الاديب توفيق افندي حبيب في كلية البنات القبطية في شهر مارس الماضي وهي تبحث في تاريخ الموسيقى عامة عند قدماء المصريين واليهود والوثنيين والمسيحيين والحان الكنيسة القبطية بوجه خاص

كتاب السعادة

لابن مسكوية في فلسفة الاخلاق

أهدي الينا هذا الكتاب فاذا هو كراس نصفهُ مقدمة بقلم حضرة الشيخ سيد علي الطوبجي السيوطي والنصف الثاني رأي ابن مسكوية في السعادة

باب المسائل

فتح هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه وعن اقامته اصلة واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يندرج السؤال بعد شهرين من ارساله اعيد فليكرره سائله فان لم يدرجه بعد شهر آخر يكون قد اضاع كلفة

(١) اسباب الضحك والبكاء

السويس . عبد الرحيم افندي محمد . ترجو افادتنا عن نظريتي الضحك والبكاء ولماذا لا يضحك الانسان الا اذا مُرّ من شيء واذا حزن بكى وتساقطت دموعه وهل من مؤلف عربي بحث في هذا الموضوع

ج . تجدون خلاصة مباحث العلماء في هذا الموضوع في المجلد السابع والعشرين من المقتطف في مقالات متوالية موضوعها « الصحيح من الفراسة » في الصفحة ٢٧٠ والصفحات الاربع التالية لها كلام عن امارات السرور ومنها الضحك وفي الصفحة ٣٤٨ وما يليها كلام على امارات الالم والخوف ومنها البكاء فطالعوها . ولا نعرف كتاباً عربياً في هذا الموضوع

(٢) حقيقة المندل

مصر . زكي افندي ابرهيم . الرجاء افادتنا عن حقيقة المندل وما رأيكم فيه ولكم مزيد الشكر

ج . لقد ابدينا رأينا فيه مراراً وخلاصته ان الشخص الذي يُطلب منه ان يلتفت الى ما امامه فيرى صورة المسؤول عنه اما ان يكون محتالاً فيلقي عليه صاحب المندل مسائل مخصوصة وهو يجيب عنها حسب الاتفاق بينهما . واما ان يكون بسيطاً فيتهويه صاحب المندل فينام النوم المغنطيسي وحينئذٍ يصير يرى امامه ما يطابق اسئلة السائل اي يحلم بها كما يحلم النائم لكن نومه هذا لا يكون كالنوم العادي بل يبقى قادراً على النطق والتعبير عما يراه في حلمه . وقد يصدق المندل احياناً ولكن صدقه يكون على الصورة التالية : —

لنفرض ان زيداً سُرقت بضائع من مخزنه فهو والذين يعرفونه جيداً ويعرفون مخزنه يظن كلٌّ منهم ظنوناً كثيرة من جهة السارق مثل انه احد المستخدمين او الغفير او الخادم . والغالب ان يصدق احد هذه الظنون . ومتى شرحت السرقة للذي يرى في المندل علّتها هو لشخص من الاشخاص ووصفه وصفاً مبهماً يصدق على كثيرين

فيحتمهُ صاحب المخزن ويتصورهُ حسب ما هو راسخ في ذهنهِ . فان قال لهُ ان السارق رجل قصير اسمر قال في نفسهِ هو اذاً الفقير او الخادم اي انهُ يطلق الوصف بواحد من الذين يتهمهم . والغالب ان الانسان يصيب في تهمتهِ فيعتقد ان صاحب المنزل ارشدهُ الى السارق والواقع ان الذي ارشدهُ اليهِ انما هو فكرهُ واستدلالهُ واما صاحب المنزل فخادع او مخدوع

(٣) اكبر النيران

مصر . امين افندي احمد . ما اكبر النيران التي شبت في المدن وقيمة ما اتلفتهُ

ج . ان النار الكبيرة التي شبت في مدينة سلانيك منذ عهد قريب حرقت من مبانيها وامتعة السكان ومتاجرهم ما قوّم باربعين مليوناً من الجنيهات وتركت مئة الف منهم من غير مأوى

واعظم منها النار التي شبّت في مدينة شيكاغو باميركا سنة ١٨٧٢ فانها حرقت ٨٤٠٠ من المباني الكبيرة يسكنها اكثر من مئة الف نفس وقُدّر ما اتلفتهُ بستين مليوناً من الجنيهات وكان سببها ان بقرة كانت تحلب ليلاً فرفست مصباحاً من مصابيح البترول فالتهب زيتهُ وهو مشتعل وحرق ما اصابهُ من كوم القش وفي اقل من تسع عشرة ساعة امتدت النار والتهمت كل تلك المنازل في ارض مساحتها اربعة آلاف فدان

ومن هذا القبيل النار التي شبت في سان فرنسسكو سنة ١٩٠٦ على اثر وقوع الزلزلة فيها فانها اتلفت ما قيمتهُ اربعون مليوناً من الجنيهات وجاءت بعد تلك الزلزلة فضتّ على اثالة ولكن لم يحترق بها سوى ٤٠٠ من السكان

(٤) الشفاء من الزهري

يوسف افندي رأفت . ارجو افادتي عن شابين في الثلاثين والخامسة والثلاثين من العمر اصيبا بالزهري وعولجا بحقن ٦٠٦ ثماني مرات لكل واحد منهما و ٧٠ حقنة من الزيبق وانقطعا عن العلاج نحو عشرة شهور حلل فيها الدم مرتين حسب امر الطبيب فلم يوجد فيهِ شيء . ويقول البعض ان هذا المرض لا بد ان يعود ولو بعد عشرين سنة ويقول غيرهم انهُ اذا لم يوجد بالتحليل مكروب بعد مضي عام فقد شفي المريض تماماً ولا يعود المرض اليهِ من نفسهِ مطلقاً فاي القولين اصح وهل يخشى على النسل اذا تزوج من شفي ومضت سنة ودمهُ خالٍ من المكروب

ج . القول الثاني اصح اما النسل فصحتهُ تتوقف على التأثير الذي اثرهُ المرض في الرجل المصاب قبلما شفي منهُ لان الشفاء من مرض لا يستلزم ازالة كل اثر من الجسم فان كان المرض قد اضعف الجراثيم الاصلية التي تدخل في توليد الجنين فهذا الضعف لا يزول منها ولو شفي الرجل من

المرض . وان كان لم يضعفها ولا اثّر فيها مطلقاً ولد النسل سقيماً وكان المرض بالياً في الجسم . ولذلك تجدون بعض اولاد المصابين بهذا الداء الخبيث من اجود الاولاد صحة وتجدون البعض الآخر سقيماً او مصاباً بالداء نفسه . ومع ذلك فشفاء الوالد قبل تزوجه اسلم للنسل من عدم شفائه

(٥) الطب والفلك عند المتقدمين والمتأخرين

مصر . محمد افندي كامل النمراوي .

قامت امامي مناقشة بين استاذين جليلين حول علمي الفلك والطب قديماً وحديثاً فكان من رأي احدهما ان المتقدمين لم يدعوا منها للمتأخرين شيئاً يذكر بل وصلا الى هؤلاء ناضجين وقلعوب فيهما ابحاث جزئية قلما يخالفهم فيها المتأخرون خصوصاً ابحاث ابن سينا في الطب . وكان من رأي الآخر ان نضجهما لم يتم الاّ على ايدي المتأخرين فعلم الفلك لم يتقدّم ويتضح الاّ بعد اكتشاف غليليو التلسكوب . وعلم الطب عاقهُ عن التقدم ازماناً طويلة تحريم تشريح الموتى فايهما اقرب الى الصواب

ج . اذا رمزنا الى العلوم الطبية كلها بالعدد مئة جاز لنا ان نقول ان ثمانين منها تنسب الى القرن التاسع عشر وما مضى من القرن العشرين بل الى الاربعين سنة الاخيرة . والعشرين الباقية الى كل ما قبلها من السنين . واذا رمزنا الى علم الفلك بالعدد ١٠٠ فتسعون منها للثلاثة القرون الاخيرة وعشرة لكل القرون التي قبلها . واهم اكتشاف في علم الطب والجراحة اكتشاف اصل الامراض المكروبي وما ترتب عليهِ من معالجتها بالتطعيم والوقاية . واهم اكتشاف في علم الفلك اكتشاف التلسكوب والسبكتروسكوب فانهما اوصلا علماء الفلك الى معرفة مقادير الاجرام السموية وحركاتها وابعادها والعناصر الداخلة في تركيبها

(٦) السكر والزهري

مصر . علي افندي خطاب . اي المرضين اشد ضرراً السكّر ام الزهري وايهما اقبل للشفاء التام ولا يخشى من عودته بعد ما يشفى

ج . ان الزهري داء خبيث وسببهُ قبيح وهو داء ان في وقت واحد داء بدني وداء ادبي وضررهُ بدني وادبي معاً ومن يصب بهِ قد يشفى بعد تعب كثير ولا يتكس ولكنهُ يحاول كتمانهُ جهدهُ لان سببهُ مخالفة الآداب العمومية المرعية عند فضلاء كل الامم . وداء السكّر ضررهُ بدني فقط ولا يخشى من يصاب بهِ ان يجاهر بذلك على رؤوس الاشهاد ولا دواء يشفي منهُ كما يشفى الزهري ولكن الحمية تضعفهُ حتى يعيش المصاب بهِ سنين كثيرة كأنهُ سليم من الداء . ونظن انهُ لو خيّر الانسان بين هذين الداءين وكان لا بدّ لهُ من احدهما لاختار داء السكر لا الزهري

(٧) الموت من السرور

مصر . الخواجه ابلي بلتنر . اعرف احد الناس توفي من كثرة السرور وذلك انهُ كان في حالة ضنك شديد ثم ورث ارثاً كبيراً فعندما ورد اليهِ هذا الخبر توفي من كثرة الفرح فما هو سبب الوفاة

ج . ان السرور يهيج الاعصاب فاذا تهيجت حركت العضلات المتصلة بها والاوعية الدموية ايضاً فاذا كان السرور معتدلاً حرك عضلات الفم التي تسبب الضحك واذا زاد على ذلك حرّك عضلات الايدي والارجل فيصفق الاولاد طرباً و يرقصون مرحاً اذا زاد قرحهم وقد يحرك عضلات الرئتين والقلب فيزيد التنفس وخفقان القلب وربما زاد على ذلك اذا كان قوياً مفاجئاً حتى تتمزّق بهِ عضلات القلب فيموت صاحبهُ

(٨) نقد المنسوجات

ومنهُ . ما هي الطريقة لمعرفة الجيد والردي من المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية

ج . تعدُّ اولاً الخيوط التي في كل سنتمتر من النسيج فاذا تساوت بقية الاوصاف والشروط فالذي فيهِ خيوط اكثر هو اجود من الذي فيهِ خيوط اقل . ثم تنسل بعض الخيوط وتحلل فالمؤلف منها من خيطين مثنيين امتن من المؤلف من خيط واحد . والمؤلف من ثلاثة اجود من المؤلف من خيطين . ثم يحلل كل خيط حتى تصل الى الياف الاصلية فالذي اليافهُ طويلة اجود من الذي اليافهُ قصيرة والذي اليافهُ متجعدة امتن من الذي اليافهُ سبطة . واذا كانت المنسوجات مصبوغة فالذي صبغهُ لا يتلف الالياف اجود من الذي صبغهُ يتلفها

(٩) بعاد الولادة والموت

الجرايبع . الياس افندي جرجس . هل من المؤكد ان كل انسان يموت في زمن ولادتهِ اي اذا ولد مثلاً في فجر النهار يموت في فجر النهار

ج . كلاَّ ولا نعلم ان احداً قال بذلك واثبتهُ بالدليل

(١٠) فقد النطق

ومنهُ . عندنا غلام في الثانية عشرة من عمرهِ ولكنهُ غير قادر على الكلام مع انهُ يسمع ويفهم ويعقل وقد يتلفظ بكلمات قليلة ولكنهُ لا يحسن النطق بها وكل اخوتهِ يحسنون النطق فما علتهُ وماذا يعمل لهُ

ج . يظهر لنا ان مركز النطق في دماغهِ مصاب بعلة اما من مرض واما من آفة اصابتهُ في طفوليتهِ فضغط جزءٌ من عظم الدماغ على مركز النطق فان كان الثاني فقد يشفى بعملية جراحية تزيل هذا الضغط والاَّ فلا

الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٦	٧	٣	مساء
الهلال	١٤	٨	٢٧	٠
الربع الاول	٢٢	٠	٢٩	صباحاً
البدر	٢٨	٨	٤١	مساء
القمر في الاوج	٨	٧	٢٤	٠
٠ ٠ الحضيض	٢٤	٨	٣٠	صباحاً

السيارت

عطارد — لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة — تكون كوكب مساء

المريخ — يشرق نحو نصف الليل

المشتري — يشاهد اثناء الليل

زحل — يشرق نحو الساعة ١١ مساء

العلماء شهداء الحرب

من الذين قضي عليهم في هذه الحرب الاستاذ بختر انكياوي الالماني الذي نال جائزة نوبل للكيمياء سنة ١٩٠٧ . فانهُ قتل وهو يحارب مع قومهِ في الميدان الغربي . والدكتور توش استاذ علم الحيوان في جامعة سنت اندروز ببلاد الانكليز فانهُ أصيب بالرعن (ضربة الشمس) في العراق فقضى نحبهُ . والعلماء الماهرون الذين يفيدون بعلمهم قلال جداً في كل بلاد وهم اذا نزلوا الى ساحة الوغى لا يكونون في استعمال السلاح امهر من عامة الناس فيقتلون كما تقتل عامة الجند مع ان الواحد منهم قد يكون انفع لبلادهِ والزم من عشرة آلاف جندي فمن الاسراف والتبذير ان يعرّضوا للهلكة كما يعرّض عامة الناس

مكروب التيفوس

بحث كثيرون من كبار الاطباء في السنين الاخيرة في طبيعة مكروب التيفوس فتمكنوا من عزل بضعة انواع من المكروبات من دم المصابين بالتيفوس ومخص بالذكر الدكتور بلوتس الاميركي فانهُ عزل منذ سنتين مكروباً ولكن لم يثبت احد منهم ان مكروبهُ هو سبب الداء . وقد قرأنا في مجلة فانكشر ان البرفسور كنزو فوتاكي الياباني اكتشف نوعاً من البروتوزوى في كلي المتوفين بالتيفوس وفي القرود الملقحة بها

السكر في الدنيا

يؤخذ من احصاء لوزارة الزراعة الاميركية ان مساحة الارض التي تزرع قصب سكر وبنجراً في العالم كله ١٢ مليون فدان نصفها يزرع قصباً والنصف بنجراً . وان فدان البنجر يخرج ٨٠٠ رطل سكر الى اكثر من ضعف هذا المقدار اي الى ٣٩٠٠ رطل . وفدان القصب الذي رطل الى اكثر من اربعة اضعاف ذلك اي الى ٩٠٠٠ رطل . وان اميركا كانت الاولى بين البلدان في مقدار ما استوردت واستهلكت من السكر في العشر السنوات من سنة ١٩٠٤ الى ١٩١٣ . ولكن استراليا كانت الاولى في مقدار ما يخص الراس الواحد من السكر المستهلك فقد بلغ متوسط ذلك ١٣٠ رطلاً في السنة

السل في فرنسا

من المسائل التي شغلت بال الحكومة الفرنسوية هذه الايام ازدياد الاصابات بالتدرن الرئوي في مدة الحرب . فقد دل الاحصاء قبل الحرب على ان الوفيات بالسل كانت ٣ في الالف بقاطنيها ١ في الالف في انكلترا . ولكن مشقات الحرب افضت الى ظهور ما كان مستكناً من هذا الداء او متوقفاً عن سيره بالمحافظة على الوسائل الصحية فلم يأت آخر سنة ١٩١٥ حتى صرف ٨٦ الفاً من الجنود الى بيوتهم لظهور السل فيهم . وبلغ عددهم ١٥٠ الفاً في فبراير الماضي . ويقال ان نصفاً الى واحد في المئة من الجيش الفرنسوي وعددهُ اربعة ملايين مصابون بالتدرن . ومن رأي الدكتور « بجز » الاميركي الذي اقتطفنا منهُ ما تقدم ان في فرنسا ٤٠٠ الف مسلول الى نصف مليون

مصادر الكحول

في البلاد الحارة ثلاثة نباتات يمكن استخراج السبيرتو منها . الاول قصب السكر . والثاني نبات « النيا » الذي ينبت في بلاد الهند الصينية وما اليها من الجزر . والثالث النباتات النشوية مثل الكساڤا والاروروط . ففي سنة ١٩١٤ استخرج من سكر القصب والنيا في جزر فيليبين ١٢ مليون لتر من السبيرتو ولكن ٩٥ في المئة او اكثر استخرجت من النيا وشجر الكوكو . والنيا رخيص وكل شجرة منهُ يعصر منها ٣٠ لتراً الى ٥٠ من السائل الذي يستخرج السبيرتو منهُ فيها ١٥ في المئة من السكر . ويقدرون ان فدان الكساڤا يخرج من النشا ثلاثة اضعاف ما يخرج فدان الذرة فضلاً عن ان في الاول ٤ في المئة الى ٦ من السكر القابل الاختمار . اما الاروروط ففيهِ ١٨ الى ٢٢ في المئة من النشا . ويقال انهُ اذا أُحسن تدبير هذه

النباتات في الاقاليم الحارة احتكرت هذه الاقاليم صناعة السيبرتو وتجارته .

منفعة اللبن

مهما قيل في مدح اللبن فهو كالحسناء لا تذم ذاتاً . ولكن مهما يخترع المخترعون ويكشف المكتشفون من الاطعمة المغذية السهلة الهضم فان اللبن اكثر الاطعمة غذاء واسهلها هضماً واعظمها ملاءمة لجميع الامزجة ولا كثر الناس على اختلاف اعمارهم . وقد بحث الاستاذ رتجر في اللبن من حيث علاقته بالصحة فأطال في وصف قيمته الغذائية من حيث هو لبن على جميع صوره سواء كان حليباً او رائباً او بقشدته او خالياً منها فحكم بان له اعظم تأثير في نمو الجسم وقوته وانه عامل لا يستغنى عنه في حفظ الصحة وتنظيمها وذلك لاحتوائه على الدهن والكر والكاسين (المادة الجبنية) والزلال اللبني المعروف باسم « لكتابومين » وبعض الاملاح غير الآلية والمواد الحيوية المعروفة باسم « ڤيتامين » والتي لا تزال حقيقة امرها سرًّا من الاسرار

عظماء الرجال

كتب الفيكونت برايس سفير انكلترا السابق في اميركا مقالة في مجلة فورتنيتلي تكلم فيها عن خمسة عشر رجلاً اعطوا لقب « عظيم » او « كبير » فقال انه كان للصدف يد في منح هؤلاء الرجال هذا اللقب فان بعضهم كانوا من اهل الدرجة الثانية في مدارکهم وكثيرين من اهل الدرجة الاولى لم ينعتوا بالعظماء . والذين نعتوا بالعظماء كانوا رجال عمل لا رجال فكر وليس بين كبار المفكرين مثل شكسبير ودنتي وسقراط وباكون وكنت ونيوتن وليبنتس من سمّي عظيماً . وبعبارة اخرى انهم كلهم ما عدا بابوين كانوا حكاماً او فاتحين ولم يكن للتفوق الادبي وشرف الاخلاق والغيرة على الواجب يد كبيرة في هذه التسمية . قال : « فان انشاء امة كما صنع وشنطن وانقاذ امة من الخراب كما صنع لنكن هذان عملان يجعلان الشهرة خالدة . وبعد موت فردريك الكبير كفّ الناس عن نعت الشهيرين بالعظماء او الكبراء ولولا ذلك لكان وشنطن ولنكن احق الناس بهذا اللقب »

طباع الغورلاّ

كان في بستان الحيوانات بمدينة دبلن عاصمة ارلندا غورلاّ انثى ماتت بالامس بعد ان عاشت في ذلك البستان ثلاث سنوات واربعة اشهر . وقد وصف طبائعها الاستاذ كرنتر في المجلة الطبيعية الارلندية الصادرة في شهر اغسطس الماضي فقال انها كانت اليفة وديعة لا تعتدي على احد ولكنها تكره

ان يحملها احد وكان لها رفيق من نوع الشمبنزي كانت تعطف عليه ولا تفارقه. ومرض الشمبنزي فقلقت عليه قلقاً شديداً وكانت تلقي رأسهُ على ركبتها وتعتني به كما تعتني الام بابنها المريض. ولما كان في صحتهِ كانت اذا لعبت معهُ تضرب صدرها بيديها كانها تتحداهُ للقتال مزاحاً واذا قُدِّم لها طعام وهي تعلم انهُ يحبهُ تركتهُ لهُ كأنها تؤثرهُ على نفسها وكان هو انشط منها واميل الى الحركة. ولم تعمر غوريلاً اخرى اكثر منها في الاسرالاَّ التي كانت في بستان الحيوانات في برسلو فانها عاشت فيهِ سبع سنوات

آنية زجاجية للطبخ

استعملت آنية الفخار منذ القدم للطبخ لرخصها وسهولة صنعها واحتمالها الحرارة الشديدة. والمواد التي يصنع الفخار منها هي نفسها تستعمل لصنع الزجاج والفرق بين الطريقتين انهُ اذا أُريد عمل الفخار مزجت المواد بعضها ببعض وصنعت منها الآنية على مختلف الاشكال ثم عرضت لحرارة تكفي لاذابة بعض المواد التي على سطحها ويتألف منها سطح صقيل واذا أُريد عمل زجاج أُذيبت هذه المواد في حرارة عالية ثم افرغت في قوالب او نفخت على الاشكال المطلوبة. والزجاج العادي سريع الانكسار وقد يصنع قبل الآن زجاج يحمى ثم يبرد فجأة ولا ينكسر. ولكن قرأنا في السينتفك اميركان انهم اخترعوا في ولاية نيو يورك نوعاً جديداً من الزجاج لا ينكسر سريعاً بتداوله ولا بتعريضهِ للحرارة ثم للبرد فجأة وجعلوا يصنعون منهُ آنية للطبخ. ومزيتهُ على الفخار ان محتوياتهِ ترى من خارج الآنية من غير ان تكشف فلا «يشطح» طعام فيهِ ولا يحترق كعكك

اغرب العادات

انفذت جامعة بنسلفانيا الاميركية وفداً الى الامازون سنة ١٩١٣ للبحث في طباع بعض قبائله وعاداتهم ودرس اخلاقهم فرووا ان قبيلة الماكوسي تمارس العادة التي اشتهرت عن كثيرين من المتوحشين في جميع انحاء الدنيا وهي ان يلزم الوالد سريرهُ عند ولادة مولود لهُ ويبقى كذلك مدة تختلف بين شهر واكثر لا يأكل في خلالها الاَّ الطعام الخفيف اللطيف وتعنى الوالدة المسكينة بهِ وبمولودها. وروى ان قبيلة اخرى تمارس هذه العادة ايضاً ولكن الوالد يبقى يأكل الطعام الخفيف مدة سنة كاملة بعد تركهِ سريرهُ

وبين قبائل الامازون قبيلة كانت بالامس زاهرة زاهية ولكنها انقرضت لما سامها تجار المسك الاوربيون من الذل

والخسف فلم يبق منها سوى شتيقتين فدرس الوقد اخلاقها وهيئتهما وسائر اوصافها الطبيعية والادبية كما تدرس آثار الحيوانات البائدة. وهذا من اغرب ما عرف عن قسوة الانسان في معاملة اخيه الانسان

معتقد الزولو

الزولو من قبائل جنوب افريقية يعتقدون ان الروح يبقى بعد انفصاله عن الجسد ولكن ديانتهم لا تنص صريحاً على خلود النفس. ولا يعلمون مدة بقاء الروح بعد انفصاله عن الجسد ولا مل يبقى الى الابد وكل ما يقولون ان جسد المرء هو الذي يموت اما روحه فيبقى. واذا لم يذهب الروح الى احضان نكولنكولو الاله الخالق قصد اقرب وادٍ من مدفن الجسد فيبقى هناك مدة يطرأ عليه التغير في اثنائها ثم يعود فيظهر ثانية في زي افعى. اي انهُ يتحول الى افعى لا انهُ يدخل جسم افعى كانت موجودة. وعليه كان يحسب قتل هذه الافاعي فياسلف جريمة لا تغتفر. وتعرف هذه الافاعي من غيرها بعدم اذاها

آلة سريعة لقص الشعر

روت السينفك اميركان ان بعضهم اخترع آلة سريعة لقص شعر الراس تدار بالكهربائية فهي تقص الشعر وترتبهُ في ثلاث دقائق الى خمس على الكثير

نفقات اميركا على الحرب

قال المستر سموت احد اعضاء اللجنة المالية في مجلس الشيوخ الاميركي ان اميركا ستنفق في السنة الاولى من دخولها الحرب ٢٧ الف مليون ريال (اي ٥٤٠٠ مليون جنيه). وقد حسبت نفقات الجيش بناء على ان عدد رجاله مليونان اي ٣٨٧ الفاً من الجيش النظامي و ٤٠٠ الف من الحرس الوطني و ٥٠٠ الف من الجيش الوطني و ١٠٠ الف من الملحقات المختلفة

زراعة البطاطس

ظهر من تجارب جربت في انكلترا مدة سبع سنوات ان موسم البطاطس يجود كما وكيفاً برش نباتهِ بمزيج من خمر بوردو و برجندي قبل ظهور اثر اللفحة عليه. وان الفدان المرشوش أخرج من البطاطس طناً الى خمسة اطنان زيادة على غير المرشوش

مادة تأكل البلاتين

اكتشف الدكتور سمث الانكليزي مادة جديدة تأكل الزجاج والفخار والنكل حتى البلاتين والسلكا اذا وضعت عليها في نوع جديد من فصفات العموديوم يختلف بعض الاختلاف في تركيبهِ عن الانواع المعروفة

فهرس الجزء الخامس من المجلد الحادي والخمسين

صحيفة

٤٠٧ صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول (مصوّرة)
٤٢٥ فضل العرب على الجراحة . للدكتور حسين الهراوي (مصوّرة)
٤٣٩ احسام غريبة في المعدة . للدكتور شحاشيري
٤٤١ طرائف من ادب العرب . لنقيب
٤٤٨ صفحة من تاريخ التجارة المصرية . لأحمد زكي باشا سكرتير مجلس الوزراء
٤٥٩ علاج الدفتيريا والسل
٤٦١ بغداد امس واليوم . للسيد افندي خيري الهنداوي
٤٦٦ مراعي المستقبل
٤٧٠ المعادن وقت الحرب
٤٧٣ بساط عالم الفلك (مصوّرة)
٤٧٨ وفاة السلطان حسين كامل

---

٤٨٧ باب المراسلة والمناظرة * اولاد في نقد ذكرى الى الملاء . (النيل اقبل ساعجج اقبل) شربة زيت المخروع
٤٩٣ باب الصناعة * نباتات الصباغة . الصناعة في القطر المصري . معمل المشروقي
٤٩٧ باب تدبير المنزل * غلاء المعيشة في مصر . الرياضة منافعها ومضارها . مرض الشوايين . العسر . زمان تعليم الصغار
٥٠٣ باب الزراعة * محصول الحبوب في العالم . القمح في الزراعة . الزرنيخ في الزراعة . البنز في الزراعة . حفظ الاثمار والخضر . الحواشي والزراعة
٥٠٧ باب التقريظ والانتقاد * ديوان ابن الرومي . اوراق متناثرة . مدينة السلاطين . بطرس الاكبر وروسيا . تاريخ الاتراك العثمانيين . ذكرى المولد النبوي . نشرة دار الكتب السلطانية . مختصر تاريخ آداب . الحان الكنيسة القبطية . كتاب السعادة
٥١٠ باب المسائل * وفيه ١٠ مسائل
٥١٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٧ نبذة

المغفور له السلطان حسين الاول جلس على عرش مصر في ٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتوفي في ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ مقتطف ديسمبر ١٩١٧

يتبع الصفحة ٥٣٠